إشراقات فكرية تربوية دينية معاصرة

بقلم

الدكتور خير الدين خوجة (الكوسوفي)

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك

أستاذ الثقافة الإسلامية بكلية المجتمع - قطر

(وكلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة قطر

وجامعة طيبة – المدينة المنورة، وجامعة السلطان الشريف علي الإسلامية بسلطنة بروناي

والجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا (سابقا)

2008

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

الحمد لله و الصلاة والسلام على رسول الله و على آله وأصحبه و من والاه. اللهم أخرجنا من ظلمات الوهم و أكرمنا بنور الفهم و اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أما بعد؛ فهذه باقة من المقالات و المقابلات و الحوارات الفكرية و الدينية و الثقافية نشرت في بعض الصحف و المجلات العربية في الخليج العربي و المملكة العربية السعودية. تناولت فيها بعض القضايا الراهنة والمهمة في عصرنا الحاضر من وجهة النظر الإسلامية و التعددية الفكرية و الثقافية. هذه المقالات و الحوارات ناقشت موضوع الحوار و العولمة والإرهاب و الوسطية والتعليم والتربية و دور الإسلام في حماية الحضارة الغربية من الانهيار و الشيخوخة، كما أنها ناقشت و تطرقت إلى معاناة المسلمين الألبان في كوسوفا و البوسنيين في الجزيرة البلقانية في ظل النظام الشيوعي اليوغسلافي. لا شك أن هذه الموضوعات تحتاج إلى تسليط مزيد من الضوء، إلا أنه يمكن القول بأنها تعتبر أطروحات و نظرات جديدة من وجهة النظر الإسلامية من باحث عايش و واجه تلك التحديات عن قرب. أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل هذا الكتاب في ميزان حسناتي و أن ينال إعجاب واستحسان القراء، إنه تعالى سميع قريب مجيب و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

و كتبه. د/خير الدين خوجة

المدينة المنورة 1430/4/3 هـ الموافق 2009/03/31

صحيفة الوقت البحرينية - يومية سياسية مستقلة

العدد 718- الجمعة غرة صفر 1429 هـ - 8 فبراير 2008

»إشراقات«

الباحث اليوغسلافي خير الدين خوجة في حوار مع «الوقت»:

العولمة آخر نماذج استعباد البشريّة ويجب رفضها

(3-1)

الوقت - نادر المتروك:

يتوافق الدكتور خير الدين خوجة، أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة طيبة في المملكة العربيّة السعوديّة، مع القول بأن العولمة تهدف إلى إنتاج مجتمع جاهلي، وهو يتحرّك "ككائن عضوي، تندفع أعضاؤه، بطبيعة وجوده وتكوينه، للدفاع الذاتي عن وجوده وكيانه"، وبناءً عليه يذهب خوجة إلى أنه "لا يملك الإسلام أن يواجههم إلا في صورة مجتمع آخر له ذات الخصائص، ولكن بدرجة أعمق وأمتن وأقوى". وإذ يُحدّد جملة من المواصفات التي تجعله يرفض مصطلح العولمة جملةً وتفصيلاً؛ فإن خوجة يطرح الإسلام خيارا بديلاً عن كلّ الطروحات القائمة، مؤكداً على أن "الإسلام يغيّر حالة الأفراد عندما يصدقون في التعامل

معه، ويغير حالة المجتمعات عندما تصدق في تطبيق أحكامه"، وفي خصوص تهديدات العولمة لهويّة المسلمين يرى بأنه كي "نثبت أمام الثقافات الواردة والهدامة، لابد من توحيد الجهود المبذولة من مراكز التوجيه والتأثير في الأمة ومؤسساتها كافة، ولا يمكن في التغيير الإسلامي نحو الأفضل أن يدعو واحد إلى الخير ويدعو عشرة إلى الشر".؟

يواجه العالم الإسلامي اليوم مخاطر حقيقية على مستوى هويته الثقافية والحضارية، حيث تتهدّده العولمة في صميم وعيه الديني ومحتويات نموذجه الكوني. ما هو أولاً تشخيصكم الموجز لأوضاع المسلمين في العالم الإسلامي؟

بسم الله الرحمن الرحيم.

إن مما لا شك فيه، أن العالم الإسلامي والمسلمين قاطبة يمرون بحقبة تاريخية سوداء، صعبة ومحرجة للغاية، وأنهم حقاً قد أصابهم وهن شديد، بحيث يصبح اللبيب حيران على وصف هذه الحقبة وبيان حالتها المأساوية. حيث الابتعاد عن تعاليم الإسلام وقيمه، والتمزّق والتفرّق والتشرذم بين المسلمين، وحيث التخلف والرجعية والجمود في الصناعة والإنتاج، وانتشار الفقر المدقع والبطالة في صفوف المسلمين، وحيث الذل والهوان المهيمن على الدول الإسلامية عموما، والمؤسسات الدينية والعلمية خصوصا، وحيث الاستعمار والاستبداد في الأراضي الإسلامية، وحيث النهب والسرقة للثروات وممتلكات المسلمين، وحيث السجن والقتل والقصف والتشريد ومطاردة وملاحقة للمسلمين أينما حلوا وارتحلوا، وحيث الهجوم الشرس على القرآن ونبي الإسلام من قبل وسائل الإعلام الغربية، المرئية والمسموعة والمقروءة، وحيث

الاستخفاف والسخرية بمقدسات الإسلام والمسلمين.. أقول أصبحت هذه الظواهر في عصر العولمة أو الجاهلية الرّاهنة، للأسف الشديد، إحدى أشهر سمات المسلمين والعالم الإسلامي في العصر الحديث. **هل فعلاً يمكن النظر إلى العولمة على أنها تحدٍّ حقيقي في هذا الإطار؟ أي جاهلية جديدة كما تعبّرون؟**

- يقول الله عزّ وجل في كتابه الكريم: (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)، وقال تعالى: (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا..)، ويقول سبحانه أيضاً: (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير). وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ثوبان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكلة على قصعتها، قال: قلنا: يا رسول الله؛ أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: (أنتم يومئذ كثير، ولكنكم تكونون غثاء كغثاء السيل، تنزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن) قال: وما الوهن؟ قال: (حب الدنيا، وكراهية الموت). وللعلماء والمفسرين في تفسير الآيات السابقة، ولاسيما تفسير آية الأنفال التي سبق ذكرها كلام جميل، أرى من الأهمية بمكان اقتباس بعض الفقرات من تفاسيرهم حتى نكون على بينة من الأمر في كيفية مواجهة تحدي العولمة أو الجاهلية الحديثة المتطورة، ومن ثم بيان السبل الكفيلة والمحافظة للهوية الإسلامية. قال العلماء: إن المنهج الحركي لهذا الدين يواجه الواقع دائماً بوسائل مكافئة، وهو منهج متحرك مرن، ولكنه متين واضح، والذين يلتمسون فيه ما يواجهون به الواقع في كل حالة لن يضطروا إلى ليّ أعناق النصوص وتأويلها تأويلات تأباها! وإنما المطلوب هو تقوى الله، والتحرج من تطويع دينه لواقع الشر الجاهلي، والهزيمة به والوقوف به موقف الدفاع.. ومن أجل أن

الجاهلية لا تتمثل في «نظرية» مجردة، ولكن تتمثل في تجمع حركي على هذا النحو؛ فإن محاولة إلغاء هذه الجاهلية، ورد الناس إلى الله مرة أخرى، لا يجوز - ولا يجدي شيئاً - أن تتمثل في «نظرية» مجردة. فإنها حينئذ لا تكون مكافئة للجاهلية القائمة فعل والمتمثلة في تجمع حركي عضوي، فضلاً على أن تكون متفوقة عليها.. بل لا بد لهذه المحاولة الجديدة أن تتمثل في تجمع عضوي حركي أقوى في قواعده النظرية والتنظيمية، وفي روابطه وعلاقاته ووشائجه من ذلك التجمع الجاهلي القائم فعلاً.. لأن وجود المجتمع المسلم لا يتحقق إلا بهذا. لا يتحقق بمجرد قيام القاعدة النظرية في قلوب أفراد مهما تبلغ كثرتهم؛ لا يتمثلون في تجمع عضوي متناسق متعاون؛ له وجود ذاتي مستقل، يعمل أعضاؤه عملاً عضوياً - كأعضاء الكائن الحي - على تأصيل وجوده وتعميقه وتوسيعه؛ وعلى الدفاع عن كيانه ضد العوامل التي تهاجم وجوده وكيانه.. ولم يوجد قط في صورة «نظرية» مجردة عن هذا الوجود الفعلي.. وهكذا يمكن أن يوجد الإسلام مرة أخرى.. ولا سبيل لإعادة نشأته في ظل المجتمع الجاهلي في أي زمان وفي أي مكان، بغير الفقه الضروري لطبيعة نشأته العضوية الحركية.. وكما أن المجتمع المسلم مجتمع عضوي حركي متناسق متكافل متعاون يتجمع في ولاء واحد، فكذلك المجتمع الجاهلي: والذين كفروا بعضهم أولياء بعض.

موافقتكم على هذا التوصيف للعولمة يتطلب توضيحاً فكرياً أعمق للعولمة. ما هو مفهومها الفلسفي وبنيتها التاريخية في نظركم؟

- بالفعل، ونحن أمام هذا التيار الثقافي الديني الفكري الجارف، أو الجاهلية بثوبها الجديد؛ يحسُن بنا أن نبيّن معنى ثقافة العولمة والمراد من ذلك المصطلح الفضفاض، والذي انجرّ وراءه كثير من المفكرين والمثقفين، داعين إلى قبوله واعتناقه جملة وتفصيلاً، دون أن يعرفوا

حقيقتها وأبعادها. يقول بعض العلماء والمفكرين: إن كلمة العولمة لفظ ومصطلح جديد في القاموس الاقتصادي والسياسي، وهي منسوبة إلى (العالم) وليس إلى (العلم)، وهذا الكلام لا يسلم له جملة وتفصيلاً، كما سنرى بعد قليل. ولهذا توصف العولمة بأنها: نظام جديد يُراد به توحيد العالم في إطار جديد واحد، وهي تشمل السياسة والاقتصاد والثقافة والاجتماع والتربية، بل وحتى الدين، وأنها تتجاوز الحدود الجغرافية والسياسية بين الدول، وأنها ستجعل العالم في عصر القرية الكونية الموعودة، وربما أنها تكون إمبراطورية جديدة، في ثوب واسم جديد. إن أسس وقوائم ثقافة العولمة هي: العقل الالكتروني والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والإبداع التقني غير المحدود، دون اعتبار للقيم والحضارات والقيم والأنظمة والثقافات والحدود الجغرافية والسياسية. وكما رأينا أن العولمة هي صيغة جديدة من صيغ المواجهة الحضارية يخوضها الغرب ضد هويات الشعوب وثقافات الأمم وحضارتهم، وعلى رأس تلك الأمم والشعوب؛ المسلمون، وأنهم هم المستهدفون بالدرجة الأولى في هذه المواجهة، حتى يفرض الغرب هيمنة ثقافية واحدة ويخضع العالم لها. وهذه الثقافة، أي ثقافة العولمة بهذا المفهوم تتعارض تعارضا تاما مع الإسلام، فضلاً عن قواعد القانون الدولي ومع طبيعة العلاقات الدولية ومع الاقتصاد الوطني والسيادة الوطنية، وأيضا مع قانون التعددية الدينية والتنوع الثقافي والفكري. إن هذه الثقافة الغربية والأمريكية إذا سارت بهذا الاتجاه، هي إنذار ومؤشر بانهيار وشيك للاستقرار العالمي عامة، والعالم الإسلامي على وجه الخصوص. وإن نظرة فاحصة وثاقبة على الأوضاع السياسية والأمنية والاقتصادية والثقافية في العالم الحاضر، لهو خير دليل وأقوى شاهد على تحقق ذلك الإنذار والمؤشر. كل ذلك بسبب التقليد

الأعمى والاتباع المطلق لهذا النظام العالمي الجديد دون أدنى تحفظ منه.

بعض الباحثين يحرص على التفريق بين العالمية وبين العولمة، فهل تذهبون إلى ذلك أيضاً؟

- صحيح هذه مسألة مهمة ذكرها العلماء، فإن هناك فرقًا شاسعاً بين مفهوم العالمية أو الكونية Universalism، والتي تمثل طموحا نحو الارتقاء والازدهار والتقدم والنهضة بالخصوصية إلى مستوى عالمي، وقبول وأخذ كل ما هو طيب وحلال وعالمي وكوني، وبين العولمة Globalization، والتي تعني القمع والإقصاء والسلب لكل ما هو خصوصي. إذن فالعالمية Universalism تعني الانفتاح على الآخر ورغبة في الأخذ والعطاء، وهذا هو المطلوب، ولكن بشروط وضوابط، بينما العولمة Globalization تعني اختراق وسلب وتدمير لخصوصية الآخر. وبناء على المفهوم الأول Universalism أي العالمية، فالإسلام أمرنا بالانفتاح نحو الآخر والأخذ والاستفادة منه، ما لم يتعارض ذلك مع قرآننا وسنة نبينا محمد (ص). وهذا الموقف أيضًا يتفق من خصائص الإسلام، حيث تتصف دعوته بالعالمية لكل أجناس البشر في العالم من دون استثناء، كما أن مبادئه وقيمه تتصف بالشمولية للجوانب الحياتية كافة دون استثناء جانب. وبناء على المفهوم الثاني، أي العولمة Globalization، نقول إن هذه الثقافة تتعارض مع المبادئ الإسلامية والقواعد الشرعية والآيات القرآنية، التي اعتبرت التعددية الألسنية واللونية والعرقية آية من آيات الله، حيث خلقهم الله عز وجل من ذكر وأنثى وجعلهم شعوباً وقبائل ليتعارف الناس فيما بينهم وأن يجتمعوا على صعيد واحد تحت راية التوحيد، راية لا إله إلا الله محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

ما هي أهداف العولمة، خصوصاً بالنظر إلى وجهها الثقافي السّلبي؟

- هناك عدد من الأهداف لثقافة العولمة، وهذه مسألة تزداد، كما يراها العلماء والمحللون، ونذكر منها على سبيل المثال: الهيمنة على اقتصاد العالم من قبل أميركا وأوروبا، والتحكم في القرار السياسي وصناعته لخدمة المصالح الأميركية والأوربية، إلغاء النسيج الحضاري والاجتماعي للشعوب، وتدمير الهويات الدينية والثقافات القومية والفكرية والحضارية للشعوب، وزيادة الدول الغنية غنى ونهضة وتطورا، بينما تزداد الدول الفقيرة فقراً وبؤسا وتخلفًا. كما أن من أهدافها القيام بتفتيت بعض الدول والكيانات والحضارات والمؤسسات الثقافية والدينية، وفرض السيطرة السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية بقصد استغلال الدول ونهب خيراتها. وإذا علمنا أن الولايات المتحدة الأمريكية والولايات المتحدة الأوروبية قد أدركت حقيقة تطلع المسلمين إلى الصحوة والنهضة لإيجاد كياني دولي لهم يقوم على أساس الإسلام، يحفظ حقوقهم وكرامتهم وأموالهم، فإن تلك الولايات قد أعدت العدة للقضاء على الإسلام والمسلمين بشتى الطرق والوسائل، ابتداء بالغزو العسكري وانتهاء بالغزو الفكري والثقافي، وجهّزت حملة ضارية ضد الإسلام ومصالح المسلمين، من خلال هذه الركائز: أولاً وزنها الدولي ونفوذها في العالم الإسلامي، وثانياً زعامتها للدول الرأسمالية التي تحرص على اشتراكها بالحملة ضد الإسلام، وثالثاً الشرعية الدولية المتمثلة بالأمم المتحدة وميثاقها والمؤسسات التابعة لها والواقعة تحت هيمنتها، ورابعاً مراكز السلطة والنفوذ في الدول ومن سخرتهم من المنافقين والنفعيين. وتتجلى هذه الحملة الأميركية والأوروبية بشعارات أربعة:أ- الديمقراطية، والتي هي في حقيقتها حكم الشعب للشعب وليس حكم الله عزوجل، ب- والتعددية السياسية وتعدد الأحزاب والفرق، جـ -حقوق الإنسان، ويراد منها حقوق الإنسان

الغربي والأميركي فقط، د- سياسات السوق العالمية والتحكم فيه.

في مقابل رفضكم للعولمة التي طرحتم مفهومكم لها، ما هو البديل.. ما هو خياركم البديل؟

- باختصار شديد نقول: البديل هو الإسلام، إذ إنه الخيار الوحيد الذي يجب التسليم بصحته وفاعليته، والذي يحرم على المسلم استبدال الأدنى بالذي هو خير؛ لأنه عقيدة ونظام حياة، فيه كل الحلول والمعالجات الربانية، كما قال تعالى: (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)، وكما قال تعالى: (**وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**) [الأنعام: 153]. وبناء على ما ذكر، وبهذا المفهوم الذي ذكرناه، فإنه يجب رفض العولمة رفضا تاما باعتبارها آخر صيغة ونموذج للاستعمار الحديث والاستبداد السياسي والطغيان الاجتماعي والعودة بالناس إلى العبودية، وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ بعد كل ذلك، ما هي السّبل الكفيلة في رأيكم للمحافظة على جوهر الهوية الإسلاميّة في ظلّ الاختراقات غير المحدودة للثقافات العولميّة؟

- إذا كانت أمتنا في هذا العصر تواجه غزواً فكرياً خطيراً، على الجبهات والمجالات كافة، وإذا كان الأعداء يريدون تغيير ثوابت وقيم ومبادئ الأمة الإسلامية وتغريبها عن دينها، وإذا ما أصيب كثير من أبناء الأمة الإسلامية بالتلوث الفكري الغربي، فإنه لا ينقذهم مما أصابهم ويزيل ما علق بهم ويبدل حياتهم نحو الأفضل والأحسن.. إلا الإسلام. لابد من محاربة الجهل المطبق بالإسلام ومبادئه وقيمه وثقافته، وملء الفراغ الروحي والفكري والثقافي الكبير لدى المسلمين عامة والشباب خاصة. ومن الضروري محاربة "إسلاموفوبيا"، وهو النفور والتخوّف من الإسلام وكراهية مبادئه وقيمه وأحكامه وتشريعاته، وتحبيبه إلى الناس كافة، من خلال

إحياء سننه وآدابه وفضائله، وإحياء شمائل ومناقب نبينا محمد (ص). وليس من سبيل لاعتناق الأفكار والفلسفات والثقافات الغربية المطلقة، وإنما نختار منها ما طاب ووافق ديننا، ونرفض ما خبث وتعارض مع إسلامنا، ولا بد من وزن الثقافات الغربية والأمريكية بميزان الحق والعدل، وردها إلى شهادة المركز Criteria of Center القرآن والسنة، والتاريخ الإسلامي وسيرة سلفنا الصالح.

كيف ترسم العلائق أو حدود التعاطي إذن مع الغرب أو مع الثقافات القادمة من الغرب؟

- لابد من المحافظة على المجتمع المسلم من الإصابة بالعقد والأمراض النفسية والغربية، كالقلق والإحباط والشعور بالعدمية والعبثية والأنانية والذاتية، وذلك من خلال المؤتمرات والندوات والمحاضرات والمخيمات والزيارات.. وعدم ممارسة الحياة على الطريقة الغربية بشرورها ومفاسدها وانحرافاتها ورذائلها، وحلوها ومرها، وعدم تقليدهم في الجانب السلبي، وإنما علينا التركيز على الجانب الإيجابي فقط. كل ما هو طيب وحلال ومفيد قبلناه، إذ الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها، وكل ما هو ضار وخبيث رفضناه. ولذلك لابد من نقض الأفكار والنظريات الجاهلية الباطلة، التي يؤمن بها الكافرون، وبيان زيفها وخطئها، واستخدام المنطق الجدلي البرهاني العلمي في ذلك لدحض شبهاتهم وأباطيلهم. وبالتالي الدعوة لعامة الناس إلى التخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل، وتكليف كل مسلم بواجب النصح والتذكير، ونشر النافع الخيّر من الثقافات والقيم. فمن الضروري إذن تحصين أبناء المسلمين أمام الغزو الفكري المعادي وتثبيتهم أمام حقائق الإسلام، ليحسنوا الوقوف

أمام الثقافات الوافدة ولا يأخذوا منها أباطيلها.

ولكي يتحقق ذلك.. ما هي المتطلبات على المستوى الذاتي، على مستوى المسلمين أنفسهم؟

- أولاً عدم انسلاخنا من ماضينا وتاريخنا المشرق، وسير علمائنا المصلحين، وعدم فقدان الهوية الذاتية، وعدم ضياع الأصالة المميزة، والتي ميزنا الله عز وجل وفضلنا بهذا الإسلام عن العالمين. والسعي إلى تحسين صورة مجتمعات المسلمين المشوّهة، ونشر جمال الإسلام وعظمته من خلال الكتب والرسائل والقنوات والمواقع الالكترونية. والسعي من قبل المسلمين إلى التعرّف على منهج الإسلام في التغيير الثقافي الإيجابي وليس السلبي، أي من الأسوأ نحو الأفضل والأحسن، وليس العكس، وذلك من خلال تقديم العقيدة الصحيحة، الخالية من الخلافات والمسائل التي لا تمتّ إلى واقعنا بصلة، وينبغي توضيح مسائلها ومباحثها وخطاب الكيان الإنساني كله بها، وليس تقديم العقيدة على أنها معلومات نظرية، أو مباحث فلسفية، أو تصورات فكرية، وإنما تقديمها على أنها (حقائق) حياتية معاشة منظمة، يعيشها المسلم في حياته عملياً، فمن وضحت له عقيدته وأثرت في كيانه، فإنها تغير له كل شيء في حياته.

*رابط المقال : http://www.alwaqt.com/art.php?aid=97857

© 2008 صحيفة الوقت، جميع الحقوق محفوظة.

www.alwaqt.com

الوقت

صحيفة الوقت البحرينية - يومية سياسية مستقلة

العدد 739 الجمعة 21 صفر 1429 هـ - 29 فبراير 2008

»إشراقات«

الباحث الإسلامي خير الدين خوجة في حوار مع «الوقت»:

الفتاوى تخضع للخصوصيّات.. وما يصلح للشرق قد لا يصلح للغرب

3-2

الوقت - نادر المتروك:

يذهب الدكتور خير الدين خوجة إلى أن المسلمين في جزيرة البلقان كانوا يعانون من قسوة النظام الشيوعي، والتمزّق العرقي والطائفي"، ذاهباً إلى الشيوعيين "كانوا باستمرار يحيون نزعة الكره والحقد ويشعلون فتيلة البغض على الدولة الإسلامية العثمانية بين أوساط الشعوب التي كانوا يحكمونها، ولاسيما الشعب الألباني والبوسني، والنظام الشيوعي منع أتباع هذه الأديان من التفاهم والتحاور فيما بينهم للتوصّل إلى السلام والوئام وإلى نقاط مشتركة ترضي الجميع". وفي الوقت الذي يحلّل فيه أوضاع المسلمين في الغرب، فإن خوجة ينصح المسلمين هناك إلى ضرورة التعايش في تلك البلدان على قاعدة الثابت والمتغيّر في الإسلام، وتحديد هذه القاعدة، كما يقول، ليس مشكلة في الإسلام "ولم يتم ذلك بثورة ومعركة

وصراع.. وإنما تم ذلك بتقرير تشريعي رباني في القرآن الكريم وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم" فالثبات في الإسلام ليس مطلقا، وإنما هو في حقائق وقواعد معينة"، وكذلك التغيّر في الإسلام ليس مطلقاً شاملاً، وإنما هو في فرعيات لا بد من تغييرها".

* يتحدّث البعض عن تقدّم مذهل للوجود الإسلامي في الغرب، ويرى هؤلاء بأنّ هناك ازدهاراً مقبلاً للإسلام في بلدان الغرب، وهو ما يشعر به المتربّصون شراً للإسلام ويحذّرون منه. هل يمكن أن تقدّموا إطلالة موجزة على أوضاع المسلمين في أوربا الغربيّة والشرقية؟

- يعود وجود الإسلام في الغرب إلى قرون سحيقة، وبالتحديد إلى سنة 711م عندما فتح المسلمون الأندلس واستقروا فيه. استمرّ حكم الإسلام في الأندلس قرابة ثمانية قرون، ومع سقوط الدولة الإسلامية في اسبانيا، وصل العثمانيون إلى الحكم، والدولة العثمانية أخذت تُمدّد دائرة حكمها شيئاً فشيئاً إلى جزيرة البلقان في أوربا الشرقية وإلى إفريقية الشمالية، واستمر حكم الدولة العثمانية خمسة قرون ونيف، وبالتحديد إلى نهاية الحرب العالمية الأولى. جزيرة البلقان تقع في أوربا الشرقية حيث يقطنها أعداد كبيرة من المسلمين ولاسيما في يوغسلافيا السابقة، وبالذات في جمهورية البوسنة والهرسك، حيث يقدر عدد المسلمين 65-70 % مسلمون بوسنيون، ومقدونيا 35-40 % مسلمون ألبان وأتراك وبوسنيون، وكوسوفا 98% مسلمون ألبان وأتراك وبوسنيون، وفي شمال صربيا في وادي بريشيوو 90 % مسلمون ألبان. كما أن هناك مسلمين في بلغاريا ورومانيا واليونان، ولكنهم أقلية. المسلمون في ألبانيا هم أغلبية 70-75 %، كلهم من الألبان. وأما عن تواجد المسلمين في أوربا الغربية، فإنها تعد ظاهرة جديدة بعد الحرب العالمية الثانية. البعض جاء إليها مهاجراً، والآخرون جيء بهم من قبل الدول المستعمرة لاستغلالهم وتشغيلهم نظراً لحاجة الأوربيين إليهم. ويبلغ عدد المسلمين

في الغرب حسب بعض الإحصائيات الأخيرة قرابة 53 مليوناً، وأما في الأميركيتين (الشمالية والجنوبية) فيبلغ عددهم قرابة 9 ملايين، ولوحظ تواجد المسلمين بكثرة في الستينات والسبعينات. وأما كندا، فإنها تبنّت السماح بهجرة المسلمين ذوي الكفاءات والمهارات العالية، بينما سياسية الولايات المتحدة الأميركية، لم تكن كذلك، حيث كانت تشدد على المهاجرين بتعلم وإجادة اللغة الإنجليزية، وفهم الدستور الأميركي والثقافة والتقاليد والأعراف الأميركية.

التعدّدية الدينية في الغرب زائفة

* وكيف هو واقع التعدّدية الدينية في الغرب، وذلك بالنظر إلى تاريخ الأقليات الدينية هناك؟

- إن الاعتراف بحقيقة التعددية الدينية في أوربا الغربية والشرقية مازالت شجرة غير يانعة وفكرة غير ناضجة. لأوربا الغربية والشرقية مع الأقليات الإسلامية تاريخ ديني طويل أسود ودام، مليء بالخرافات والأكاذيب التي سطرها المستشرقون الأوربيون بغرض تشويه الإسلام وتشكيك الناس فيه، بخلاف تاريخ أميركا مع المسلمين، فلم يثبت تاريخياً حروب صليبية أميركية ضد الإسلام والمسلمين، ولم نجد هذه الحملة العشوائية من قبل المستشرقين الأميركان ضد الإسلام والمسلمين، إلا ما حدث من بعد أحداث 11 سبتمبر، فلأجل هذه الحقيقة التاريخية فإن ما يُتوقّع من الشعب الأميركي في المستقبل القريب لصالح الإسلام والمسلمين أكثر وأكبر مما يُتوقع من شعب أوروبا الغربية. وأقرب مثال على تلك الحقيقة التاريخية المذابح والمجازر على أيدي القوات الصربية في حق مسلمي البوسنة والهرسك، وحق مسلمي كوسوفا. حيث تجد في أوربا الغربية من المتطرفين الغربيين من ينادي بإرجاع المسلمين إلى أوطانهم، وأن محاولات بعض الأطراف الدينية في إيجاد الحلول الموصلة للتفاهم والعيش تحت سقف واحد مشترك وآمن؛ قد باءت بالفشل. إن تدفق المسلمين المهاجرين بكثرة إلى

بريطانيا، أدى بالسلطات البريطانية إلى اتخاذ الإجراءات الصارمة في حق هؤلاء المهاجرين المسلمين، هذا التشدد أدى ببعض السياسيين المحافظين مثل Enoch Powell إلى توقع حرب أهلية بين أصحاب الثقافات المتعددة والمتنوعة، كما أدى هذا التخوف أيضاً برئيسة الوزراء السابق Mrs.Margaret Thatcher إلى إبداء قلقها إزاء تدفق المهاجرين إلى البلاد.

إسلام أوروبا وإلغاء الخصوصيّة

* حالياً، كيف هي أوضاع المسلمين في الغرب، وخصوصاً بملاحظة كلامكم السّابق الذي ينبئ بملامح سلبيّة جداً؟

- إذا كان بعض الباحثين يقسّم أحوال المسلمين في الغرب إلى مرحلة ما قبل أزمة كتاب سلمان رشدي ومرحلة ما بعد صدور الكتاب؛ فإنه يحقّ لنا أن نقسّم أيضاً أحوال المسلمين هناك وفي العالم بأسره إلى مرحلة ما قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر، والمرحلة التي تلت تلك المرحلة. بل ويجب تقسيم أحوال المسلمين أيضاً إلى ما قبل أزمة الدنمارك وما بعدها. فكل منْ له إلمام واهتمام بأوضاع المسلمين في العالم يلاحظ ذلك بالوضوح، حيث إن أوضاع المسلمين في الغرب وأميركا قد استاءت للغاية؛ من حيث ازدياد البغض والكره تجاه المسلمين، وتشديد القوانين والعقوبات الصارمة بحقهم، وتهميش أوضاعهم وحقوقهم الوطنية والدينية والإنسانية، بحجة التطرف والإرهاب. فمثلاً تشير بعض المصادر الإحصائية أن كراهية الأميركان تجاه المسلمين ازدادت بعد أحداث 9,/11 أكثر من 900% ، فقد ذكرت مجلة (Us news and world report) أن الحكومة الأميركية وضعت برنامجاً واسعا لمراقبة نحو 120 مسجدا وموقعاً يرتاده مسلمون في الولايات المتحدة، وذلك بحثاً عما تعتبره الإدارة الأميركية قنابل "نووية" محتملة. كما تشير المصادر أن أوضاع المسلمين في الغرب ازدادت تدهوراً وسوءاً

للغاية، حيث المعتقلات العشوائية والتهم المصطنعة في حق الأبرياء من المسلمين، وتطاول وسائل الإعلام في حق مقدسات الإسلام والمسلمين، والاستهزاء بالقرآن الكريم ونبي الإسلام، كما حدث في الأسابيع القليلة الماضية وللمرة الثالثة من قبل بعض لإعلاميين الدانماركيين في إعادة نشر الرسوم المسيئة في حق نبينا ورسولنا محمد عليه الصلاة والسلام مرة أخرى، وكما حدث للموسوعة العالمية الحرة في الإنترنت ويكيبيديا Wikipedia أن تنشر رسومات للرسول صلى الله عليه وسلم، وكما هو الحال أيضاً مع بعض الإعلاميين الهولانديين في نشر وعرض بعض الأفلام المسيئة للقرآن والإسلام. فلا أدري متى سيصحو الغربيون من غفلتهم ويتوقفون عن هذه الحماقات في حق إخوانهم المسلمين؟!

* البعض يرى أن الظاهرة الإسلامية في الغرب هي ظاهرة مختلفة تماماً عن النموذج القائم في بلدان المسلمين، ويرى أن هناك "إسلاما أوروبياً" يجمع بين القيم العليا للإسلام والثقافة الأوروبية. ما رأيكم في هذه الآراء؟ وكيف تقيّمون الوجود الإسلامي في الغرب اليوم وغدا؟

- يرى بعض المحللين أن النظرة الموضوعية والعالمية لعلاقة الغرب بالإسلام تكشف أن هناك في بلاد الغرب إسلامَين وليس إسلامًا واحدًا. الأول: الإسلام الذي يبحث عنه المستشرقون في مراكز الأبحاث الأكاديمية أو في الجامعات، ويقضون أعمارهم في البحث لأغراض سياسية واجتماعية ودينية واستعمارية. والثاني؛ هو الإسلام المشوّه الذي يعرفه الرجل العادي في أوروبا وأميركا، وهو خاضع تماما لوسائل الإعلام التي تصوّر الإسلام شيطانا مريدا، وإرهابيا مدمّراً، وتحمّله مسؤولية كلّ المشكلات التي قد تظهر اليوم أو غدا في العالم، ولا تتورّع عن إلصاق التهم به صغيرها وكبيرها. وللأسف أن هذا الفهم المشوّه للإسلام هو الذي يظهر في الساحة، وهو الذي يعاني منه المسلمون في الخارج، ويدفعون ثمنا لأخطاء لم يرتكبوها وتكون

النتيجة أن يجد هؤلاء أنفسهم وراء القضبان دون ذنب أو جريمة! ويرى المحللون أن هناك جدلا في الغرب بشأن تقسيم الإسلام إلى قسمين آخرين أيضاً: الأول هو الإسلام في أوروبا، والثاني هو: إسلام أوروبا. القسم الأول يقصد به ما أوضحناه آنفاً من أن أبناء الجاليات الإسلامية نزحوا من بلدانهم الأصلية مهاجرين ليستوطنوا أوروبا في كانتونات ومحافظات شبه مغلقة. وخطورة هذه الحال أن المسلمين في أوروبا يكونون معزولين طوال الوقت عن المجتمع الذي يعيشون فيه، حيث تسكنهم الحكومات في الضواحي النائية. والقسم الثاني هو إسلام أوروبا، أي أن أوروبا جغرافياً وزمانياً لها صفات مختلفة عن صفات الحيز الجغرافي العربي أو الإسلامي، ومن ثم فمن حقها أن يصطبغ إسلامها بطابعها الخاص يتناسب مع واقعها وبيئتها وظروفها الاجتماعية والعرقية. ويبدو لي والله أعلم، أنه لا ضرر ولا حرج من هذا التقسيم، لأن حاضر العالم الإسلامي يشهد بهذه الحقيقة الواقعية، كما هو الحال مع إسلام المسلمين في إندونيسيا وماليزيا وسنغافورة وتايلاند وفلبين والهند.. وإسلام مصر، وإسلام الإمارات..الخ. فتجد المسلمين في تلك البلاد الشرقية والغربية متفقين ومحافظين على الأصول والقيم العليا الدينية والفروض الإسلامية. بينما تجد هؤلاء المسلمين مختلفين في الفروع والعادات والتقاليد والأعراف وأنماط الحياة العامة والخاصة، وهذا لا حرج منه، بل لا يجوز فرض عادات وأعراف أقوام ما على أقوام آخرين، لأن لكلٍّ خصوصيته، فلا يجوز إلغاء تلك الخصوصية التي فطرهم الله عز وجل عليها، لأن الإسلام أقرّ من عادات العرب ما توافقت مع الإسلام وألغى تلك التي خالفت الإسلام، وهذا من عظمة تشريع الإسلام وحسن سياسته. إذن يجب علينا أن نفرّق بين الثقافة العامة لشعب ما وبين الدين الإسلامي الذي هو شرع الله ومنهاجه، كما أنه ينبغي علينا أن نعرف ما هو الثابت وما هو المتغير في الإسلام.

الحركة داخل دائرة الثوابت

* هذا الأمر يبدو مهمّاً بالنسبة للمسلمين المهاجرين إلى الغرب، فما الذي يمكنكم توجيهه في خصوص متطلبات التعايش من غير أن يؤدي ذلك إلى انسحاق الثوابت؟

- استغل هذا المنبر المبارك لكي أوجّه دعوة إلى جميع المسلمين في أوروبا الغربية وأوربا الشرقية، بأن أذكّرهم ببعض الحقائق ذكرها العلماء والمفكرون، فأقول: ينبغي عليكم أيها المسلمون أن تعرفوا قانون ضبط المتغير بالثابت في الإسلام، وأن لا تخلطوا بين الاثنين، وهذا القانون هو: (الحركة داخل إطار ثابت وحول محور ثابت) وأن هناك ثباتاً في مقومات التصور الإسلامي الأساسية وقيمه الذاتية، فهي لا تتغير حينما تتغير ظواهر الحياة الواقعية وأشكال الأوضاع العملية، فهذا التغير في ظواهر الحياة وأشكال الأوضاع يظل محكوماً بالمقومات والقيم الثابتة لهذا التصور، ولا يقتضي هذا تجميد حركة الفكر والحياة، ولكنه يقتضي السماح لها بالحركة ولكن داخل هذا الإطار الثابت وحول هذا المحور الثابت. مثلاً لباس المرأة المسلمة، ما هو الثابت والمتغير فيه؟ إن الثابت بالنسبة للباس المرأة هو: 1- أن يستر اللباس عورة المرأة، ومعلوم أن جميع بدن المرأة عورة ما عدا الوجه والكفين، على الراجح من أقوال العلماء، 2- ومعنى ستر اللباس للعورة أن لا يكون شفافاً بحيث يرى جسمها من خلاله، وأن لا يكون مجسماً يصف بدن المرأة ويحدده، 3- أن لا يكون هذا اللباس كلباس الرجال، فلا يجوز للمرأة أن تتشبه بالرجل في لباسه، وأن تلبس الملابس الخاصة للرجل، 4- أن لا يكون هذا اللباس لافتاً لأنظار الرجال بألوانه المثيرة أو شكله اللافت للنظر، أو العطر عليه الذي يشمه الرجال ويلتفتون حوله.. هذه الأسس الأربعة الثابتة في لباس المرأة التي لا تتغير بتغير الزمان أو المكان، سواء عاش الناس في البادية أو المدينة أو أوربا أو أميركا أو في أي مكان آخر. وأما التغير

في لباس المرأة، فالإسلام ترك للمرأة حرية الاختيار في شكل لباسها ولونه وكيفية تفصيله وخياطته، بشرط أن لا تخرج عن تلك الأسس الأربعة السابقة. فالغرب لا يحتاج إلى العادات والتقاليد والأعراف الشرقية أو العربية..ما دامت ليست من صلب عقيدة الإسلام وشرعه، وإنما هي أمور فرعية وقضايا جزئية. فالنساء المسلمات المتحجبات في الغرب لا ينبغي عليهن أن يلبسن الحجاب ذا اللون الأسود، مثلاً، لأن هذا اللون مثير ولافت لأنظار الغربيين مقارنة بالألوان الأخرى، فما دام الأمر فيه سعة، فالأولى في حقهن أن يخترن ألوان أخرى التي تتمشى مع العادات والتقاليد الغربية. وبهذا الفتوى أفتى كبار العلماء في السعودية من أمثال الشيخ بن باز رحمه الله، عندما قال إن شكل ولون حجاب المرأة الشرقية تختلف عن لون وشكل حجاب المرأة المغربية، أو التركية...الخ. وأيضاً ينبغي أن ندرك قضية أخرى مهمة تتعلق بأوضاع المسلمين في الغرب أو أميركا، بأن الفتاوى يجب أن لا تتحول إلى طيور مهاجرة من بلد لآخر، وإنما لكل بلد ولكل منطقة فتواها الخاصة بها، كما أنه يجب أن لا تعمّم الفتاوى في حق جميع الأشخاص. فما يصلح للشرق قد لا يصلح للغرب، إذ إن لكل خصوصيته وحالته الخاصة.

* هل تدعو إذن إلى التعايش التام في دول الغرب، خصوصا على المستويين القانوني والإجرائي؟

- إنني أدعو إلى تكيف المسلمين العائشين في الغرب أو أميركا بالأجواء الثقافية الغربية أو الأميركية، من غير انصهار ولا ذوبان للهوية الدينية الإسلامية، ولا ضياع للقيم والمبادئ والأخلاق الإسلامية، وهذا أضحى من الواجبات المحتمة والمسلمه بها، لأنهم ما داموا محافظين على أركان الإيمان الستة، ومتمسكين بأركان الإسلام الخمسة.. وما داموا واعين بأن القرآن

الكريم والسنة النبوية هما الأساس في حياة المسلمين والعقل تابع لهما..وما داموا متحلين ومتمسكين بالقواعد الثابتة والأصول الدينية والمقاصد الإسلامية والمقررات الشرعية..وما داموا ممتنعين عن المحرمات اليقينية والتي ثبتت حرمتها بالأدلة القطعية.. نقول لهؤلاء هنيئاً لكم بتلك الديار ودمتم طيبين ومباركين فيها، فأنتم سفراء الإسلام المخلصون إن شاء الله في تلك البلاد.

إذا اتضحت هذه الحقيقة العلمية فإن شئت بعد ذلك أن تقول عنهم إن إسلامهم إسلام أوربي، أو إن شئت أن تقول عنهم إنهم مسلمو أوربا؛ فقل ما شئت.. وإنما العبرة بالحقائق وليست بالمسميات والظواهر.

*رابط المقال : http://www.alwaqt.com/art.php?aid=101363

© 2006 - 2008 صحيفة الوقت، جميع الحقوق محفوظة.

www.alwaqt.com

الوقت

صحيفة الوقت البحرينية - يومية سياسية مستقلة

العدد 746 الجمعة 29 صفر 1429 هـ - 7 مارس 2008

»إشراقات«

الدكتور خير الدين خوجة في حوار مع «الوقت»

الإسـلام يحمي الحضـارة الغـربية من الانهـيار (3-3)

الوقت - نادر المتروك:

في الجزء الأخير من الحوار مع الدكتور خير الدين خوجة، أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة طيبة السعودية، نستطلع معه أوضاع المسلمين في الغرب، في الضفة الغربية والشرقية منه، واضعاً صورة إجمالية للتطورات القائمة للمسلمين هناك، وما يحيط بهم من تحديات كثيرة. ومن جهة أخرى يضع خوجة تصوراته بشأن الأقليات الإسلامية في الغرب، والتي يجب، بحسبه، أن تلتزم بالقوانين القائمة هناك في الوقت الذي تمارس فيه دينها وعقائدها وأخلاقياتها، ويعترض في المقابل على الثقافات المعادية والتضليلية التي تسود في الغرب تجاه الإسلام والمسلمين، مخاطباً الغربيين بأن لا " تؤذوا الإسلام والمسلمين ولا تخافوا من الإسلام.. إن الإسلام الحقيقي ليس هو الخطر على الغرب أو الحضارة الغربية.. إن الإسلام

هو العلاج الذي يحمي الحضارة الغربية من الانهيار ويشفيها من الأمراض" مضيفاً أن "الخطر الحقيقي الذي يتربص بكم وبحضارتكم هو الفساد ذاته الذي سرى إلى جسم الإمبراطورية الرومانية وقضى عليها. لقد انصرفتم كلياً في معاملتكم مع الكون إلى الآلة (المادة)، ونسيتم أن الآلة هي التي ينبغي أن تكون في خدمة الإنسان وليس العكس"، والعلاج هو "أن يوجه الغرب اهتمامه إلى الإنسان أكثر في تكوينه الكلي".

* باعتباركم تنتمون، جغرافياً، إلى العالم الغربي، فإنه من المناسب تقديم صورة عن موقف الغربيين من المسلمين هناك. فما هي طبيعة الأوضاع التي تحيط بالمسلمين اليوم في أوربا. ولنبدأ بأوربا الغربية؟

- تشير بعض البحوث والدراسات إلى أن المسلمين في الغرب هم هدفٌ لليمين المتطرف، ومن الثابت أن الحرب قائمة بين يمين أوروبا ومسلميها. كما اشتهر في فرنسا زعيم حزب الجبهة الوطنية اليميني المتطرف على عدائه الدائم للعرب، ورفضه بناء مساجد لهم، ورفعه لشعار: فرنسا للفرنسيين، وليس للعرب أو المسلمين. ومن هذا الحزب في فرنسا خرجت جماعات أكثر تطرفا مثل جماعة النازيين الجدد. إن هذه الكراهية لم يسلم منها حتى مسلمي بلجيكا إبان أحداث 11من سبتمبر، ويرى بعض المحللين أن تلك التصرفات كانت فردية من عناصر يمينية متطرفة، التي تعادي الأجانب بصفة عامة، وأن أحداث سبتمبر سببت ردود فعل سلبية على الجاليات العربية مدفوعة بالدعاية الأمريكية الصهيونية بأن المسلمين وراء كل الحوادث الإرهابية. هذا الموقف جعل الدول الأوروبية تتشدد في التعامل مع المسلمين وتضع أنشطة الجاليات تحت الرقابة، وفي هذا خسارة كبيرة للمسلمين في أوروبا وفي أميركا، خصوصا المنظمات التي لها توجهات خيرية في مساعدة وإنقاذ فقراء المسلمين في العالم والمنكوبين منهم.

أما حال مسلمي فرنسا فهناك عندهم "الفوبيا" من الإسلام التي سيطرت على الجميع، فأصبح كل مسلم هو بالضرورة إرهابياً يجب التخلص منه بطريق أو بآخر! وأصبحت أنظار الناس تتجه إلى مساجد المسلمين بهدف تطهيرها من دعاة العنف وأن على الدول الأوربية ألا تقبل الوعاظ والمشايخ والأئمة القادمين من الدول الإسلامية، وإنما يجب أن تنشئ لهم معاهد متخصصة في تخريج الأئمة والوعاظ. أما في هولندا فقد أصدرت وزارة الداخلية الهولندية قراراً يجبر دعاة الإسلام ووعاظه على تعلم اللغة الهولندية لكي يتاح لهم إلقاء الخطب بلغة أهل هولندا وليس باللغة العربية، والسبب هو أن يعرف المسئولون عن الأديان ماذا يقوله أئمة المسلمين في المساجد بعد أن حذرهم البعض من أن الخطب التي تلقى باللغة العربية قد تشمل تحريضاً على العنف وكراهية الآخر. وفي أسبانيا حدثت سلسلة مواقف عنصرية ضد العرب والمسلمين وحرق فيها الأسبان حقول عدد من العرب وحطموا سياراتهم. والسبب هو كراهيتهم لكل ما هو عربي ومسلم وإصرارهم على طرد هؤلاء الغزاة كما يسمونهم.

* هل تعاني كل الدول الأوربية من هذه الظاهرة السلبية تجاه المسلمين؟ ألا يوجد نموذج أفضل أو أقل سوءًا من هذه النماذج؟

- نعم.. لا تلاحظ تلك الفروق والكراهية علناً في دولة غربية مثل سويسرا. المسلمون هناك يستغلون ظروف الحرية المتاحة ليطالبوا بالاعتراف بدينهم رسمياً وتسهيل إعطائهم الجنسية السويسرية، حيث يعيش نحو نصف مليون مسلم من جاليات ألبانية وتركية وبوسنية وعربية وآسيوية منذ عقدين من الزمن أو أكثر، وحالهم أفضل من حال المسلمين في بلدان غربية أخرى. أما عن ارتياحهم واستقرارهم النفسي والفكري، فيرى بعض المسلمين أن من العناصر الإيجابية التي حسنت صورة المسلمين في سويسرا ودفعت عملهم التنظيمي إلى الأمام؛ هو

تدفق أعداد غير قليلة من اللاجئين السياسيين ذوي الثقافة العالية والوعي المعمق، فبعد أن كانوا يفكرون بعقلية السائح أو ابن السبيل المهجر باتوا الآن يفكرون بعقلية المواطن، وإن كان الشعب السويسري عموماً يحمل فكرة تضارب الحضارات أو صراع الحضارات، وذلك بسبب تشويه صورة الإسلام من قبل الوسائل الإعلامية العالمية.

خصوصية المسلمين في البلقان

*تحدثتم بشأن أوضاع المسلمين في أوربا الغربية، وبما أنكم تنتمون إلى أوربا الشرقية فمن المفيد الاطلاع بشكل عام على وضعية المسلمين هناك لاسيما وأن هذه المنطقة شهدت الكثير من التغيرات الجيوبوليتكية التي ألقت بظلالها على واقع المسلمين وثقافتهم الدينية والحضارية؟

- بشأن أوضاع المسلمين في البلقان وأوربا الشرقية كتب كثير من الكتاب الغربيين وغيرهم، ولكن سمة تلك الدراسات هي أنها غير موضوعية وأحادية النظر، وكُتبت لأهداف تبشيرية، مما يجعل الباحث المسلم حائراً أمام كثير من الحقائق التي ذكروها. فقد ذكر الرئيس البوسني الراحل علي عزت بيغوفيتش Alija Izet أن المسلمين في البوسنة والهرسك وألبانيا - أي بلاد البوشناق والألبان - يختلفون في واقعهم عن مسلمي البلدان الأوروبية الأخرى، فهاتان الدولتان لا يمثل المسلمون فيهما أقليات عرقية أو دينية، بل هم غالبية عظمى في تلك البلاد. أما مسلمو غرب أوروبا فيمثلون عالم الشتات الإسلامي في أوروبا وتختلف أوضاعهم باختلاف أنظمة وثقافات البلدان التي يعيشون فيها. إن وضع مسلمي البلقان كونهم سكاناً أصليين في أوروبا يحظى بأهمية كبرى بالنسبة لوضع الإسلام في أوروبا، وعلاقة المسلمين مع أوروبا، وخصوصا مع حرصهم على الحفاظ على التراث الإسلامي رغم الضغوط التي كادت أن تقضي

عليهم في بعض الحالات كما حدث لمسلمي البوسنة والهرسك ولمسلمي بلغاريا وهنغاريا. وفي ألبانيا حاول النظام الشيوعي ثنْيَ الألبان عن الإسلام طوال نصف قرن من حكمه الجائر - وكما حاول الرئيس الصربي سلوبودان ميلوشوتش Sllobodan Miloshevic بكل ما أوتي من قوة عسكرية وإيديولوجية أرثوذكسية ضد الإسلام والمسلمين؛ أن يُطهر أرض كوسوفا تطهيراً عرقياً ودينياً.

إقامة الاجتماعات الدينية ضمن القانون الغربي

* بالنظر إلى الأزمة الفكرية والدينية والاجتماعية التي ألمت العالم الإسلامي والغربي معاً، ما الذي ينبغي على الجاليات الإسلامية والمجتمع الغربي معاً اتخاذه لضمان وجودهم الإسلامي السليم؟

- لابد من بذل مزيد من الجهود من قبل قادة الأديان لأجل تعزيز وتقوية العلاقات الإنسانية عن طريق الحوار ومحاربة التميز العنصري، والتعاون فيها مع أهل الكتاب. ومن المهم الاهتمام بمشكلات المسلمين الاجتماعية، من قبل المؤسسات السياسية الغربية، ومعالجة قضاياهم ورفع شكاويهم ومطالبهم واقتراحاتهم إلى الجهات المعنية والمسؤولة، والاعتراف بحقيقة تاريخية أن الغرب مدين للإسلام والمسلمين علمياً وحضارياً. وفي هذا الصدد، يجب إعطاء حق التعليم المدرسي والجامعي لأبناء وبنات الجاليات المسلمة، وإبطال فكرة الأصولية الإسلامية التي يتخوفون منها، وذلك بتخصيص مدارس ومرافق تعليمية خاصة بهم. وعليه يجب معاملة المسلمين بالتساوي، وعدم تشريع قوانين تمس الإسلام ومقدسات المسلمين، كما هو الحال مع وزير التربية والتعليم في فرنسا الذي أجبر سبعمائة فتاة مسلمة على خلع حجابهن تحت نار التهديد بالفصل من المدارس. لا يجوز التعرض بالأذى للصحوة الإسلامية المتزايدة والتي من

مظاهرها التمسك بمبادئ الإسلام وارتداء الحجاب والذهاب إلى المساجد والمصليات، وإقامة الاجتماعات الدينية والندوات العلمية وممارسة النشاطات الدعوية، بشرط أن يتم ذلك ضمن القانون المسموح به في البلد الذي يعيشون فيه.

*من الواضح أن الجاليات الإسلامية والقوى الدعوية في متزايد، فما هي نصائحكم لها من أجل تقوية وجودها وتحقيق أهدافها الدينية؟

- على الجاليات الإسلامية في الغرب أن يتحدوا فيما بينهم، ويوحدوا صفوفهم على مبدأ الشورى، وذلك باختيار ممثلين من بينهم لتوصيل مشكلاتهم وتبليغ أصواتهم إلى السلطات والمعنيين بالأمر. بهذه الطريقة وبهذه الوحدة يكون لهم صوت مسموع لدى الجهات الحكومية التي ينتمون إليها. كما على العلماء والمشايخ والدعاة أن يفقهوا واقعهم المعيشي في الغرب، وأنهم ما داموا يشكلون أقلية في أعين هؤلاء الغربيين فإن عليهم أن يفهموا أنهم مطالبون باحترام قانون البلاد الذي يعيشون فيه، وأنه لا يجوز في حال من الأحوال التمرد على ذلك، ولا يكون الأمر كما حدث لبعض رجال الدين في هولندا عندما أفتى بحرمة المشاركة في الانتخابات المحلية لكونهم لا يحملون جنسيات هولندية ولأن أعضاء الأحزاب السياسية غير مسلمين؟! وبجانب التوضيح وبيان الإسلام للغربيين، فإنه يجب توضيح وتوعية الأقليات الإسلامية بالفلسفة الغربية وتنوعها العرقي والثقافي والديني، وإن فكرة الصراع الحتمي للحضارات والثقافات لصموئيل هنتنغتن Huntington Samuel يجب ألا تقبل، بل يجب رفضها جملة وتفصيلاً، وأن الأمر كما رأى بعض المحللين مثل بريان بدهم Brian Beedham وغيره، أنه سيكون هناك بين المسلمين والنصارى تعاون وتفاهم وتنسيق أكبر بكثير من ذي قبل.

*هناك مشكلة في تقديم الإسلام في الغرب بالنظر إلى التقدم المعرفي الغربي، ففي حين يستمر الخطاب الديني التقليدي، فإننا نجد هوة معرفية يعاني منها المسلمون هناك عندما ينفتحون على المعرفة الغربية في المؤسسات الإعلامية والتربوية والأكاديمية. ما تعليقكم على ذلك؟

- علاوة على ما ذُكر؛ فإنه يجب على المسلمين عموماً والمسلمين الذين يعيشون في الغرب على وجه الخصوص أن يقوموا بدور فعال أكبر على إيجاد توفيق بين الإسلام والعلوم الاجتماعية الحديثة وتطور الثورة التكنولوجية والصناعية الحديثة، بعملية إسلامية العلوم والمعارف الإنسانية Islamization of Knowledge حتى يتم من خلال هذا التوفيق؛ الحفاظ على الهوية الدينية والعرقية في بيئة غير مستقرة علمياً وثقافياً وتكنولوجياً وصناعياً. هذا التوفيق بين الإسلام والعلوم الإنسانية الحديثة لا يتم دون فتح باب الاجتهاد الجديد وتجديد الخطاب الديني في هذا العصر وبالذات في الغرب، لمواجهة التحديات العصرية الحديثة والتطورات الاجتماعية والثقافية، وألا نكتفي بالاجتهادات القديمة قبل مئات السنين. لقد أدرك المسلمون الآن حقيقة شروح وتفاسير العلماء القدامى، حيث إنهم صاغوا تلك الشروح والتفاسير لبيئات ذات أغلبية إسلامية في أزمانهم، وليس كالأقلية بين أظهر غير المسلمين. هناك حاجة ماسة للشروح والتفاسير التي ترشد المسلمين وتلبي حاجاتهم كالأقلية، وبالطبع هذا لا يتم إلا باجتهادات جديدة من قبل العلماء والمفكرين، أهل الحل والعقد في هذا العصر.

*البعض يتحدث عن ثقافة عارمة في الغرب يُطلق عليها ثقافة الكراهية، وهي ثقافة متبادلة بين المسلمين في الغرب والآخرين. فكيف يمكن مواجهة هذه الثقافة؟

- على الأطراف المعنية بالسلام (المسلمون والغربيون) أن يصبوا جل جهودهم وطاقتهم الفكرية والدينية إلى صناعة وتوليد الحب بين الناس، بدلاً من صناعة وتوليد البغض

والكراهية. ولكن ذلك لا يمنع من العمل على غرس الحقيقة الدينية في قلوب الغربيين والجاليات الإسلامية، فالإسلام ينظر إلى العالم على أنه أسرة بشرية واحدة، متعددة الأعراق واللغات، يجب التعايش السلمي ويجب قبول الآخر والحوار مع الآخر، فنحن وهؤلاء إخوة في الإنسانية، نفرح كما يفرحون ونحزن كما يحزنون، كما قال تعالى: (يَا أَيهَا الناسُ اتقُوا رَبكُمُ الذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَث مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً) ، وكما قال الله عز وجل: (يَا أَيهَا الناسُ إنا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إن أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إن اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ). من هنا علينا العمل على غرس المبدأ الإسلامي في نفوس الغربيين والجاليات الإسلامية في الغرب وأن ديننا دين تسامح وعفو وصفح عن الآخر، وحرمة سباب الآخر أو إهانته أو إذلاله، قال تعالى: (وَلا تَسُبوا الذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَينا لِكُل أُمةٍ عَمَلَهُمْ ثُم إِلَى رَبهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ). من هنا يمكن اجتماع الجاليات الإسلامية واتفاقهم مع الغربيين على ضرورة نشر الأخلاق الفاضلة ومحاربة الأخلاق الذميمة. فهناك أرضية مشتركة مع هؤلاء القوم في المجالات المذكورة.

مسؤوليات الأقليات المسلمة في الغرب

*في الختام، ما هي أهم المسؤوليات التي ترونها على عاتق الأقليات الإسلامية نحو المجتمع الغربي الذي يعيشون فيه؟

- هناك مسؤوليات كثيرة. إن مبدأ الوفاء يقتضي أن يبادل المسلمون المقيمون في الغرب ما قدمه الغرب إليهم من علم وتقنيات وغيرها، فيقدم المسلمون لهم بما يتوافر لديهم من مقومات الحضارة الإنسانية التي لا تتوافر لدى الغرب، والغرب بأشد الحاجة إليها. وإذا كان

المسلمون يعانون من فقر في هذا الجانب، فإن الغرب أيضا يعاني أبناؤه من أمراض في أوضاعهم الاجتماعية وتصوراتهم الفكرية والعقدية، وفي مجال الصحة النفسية. لقد آن للإنسان المسلم أن يؤدي واجبه في إنقاذ المجتمع الإنساني عموما والغربي خصوصا من هذه المعاناة التي يقاسي منها. وأن يسعى للتخفيف من الأرقام المخيفة التي تتفاقم يومًا بعد يوم. إن على المسلم أن يقدم نفسه إلى المجتمعات التي يعيش فيها من خلال هويته الإسلامية بصورة صحيحة وصادقة، بحيث يترجم الإسلام الذي أنزله الله تعالى؛ ليتيح للمجتمعات التي يعيش فيها أن تتعرف على الإسلام الحقيقي، من خلال فكره وسلوكه وأخلاقه وعلاقاته. وعندئذ يتم تبادل الثقافات وحوار الحضارات بصورة واقعية لا من خلال الدعوة الكلامية أو على الورق فقط. إن واجب الجالية المسلمة في الغرب أن تكون مظهرا للانسجام مع البيئة، ولكن ليس من خلال ذوبان الشخصية، وإنكار الأصل الذي انحدرت منه والهوية التي تنتسب إليها، بل من خلال الأخلاق التي تجعل الفرد من أبناء هذه الجالية موضع تقدير واحترام، وتجسد الصورة الصحيحة لهذا الدين. إن على الجالية المسلمة أن تحترم النظم السائدة في المجتمع الذي تعيش فيه، بمقدار ما تكون هذه القوانين والنظم صورة حضارية تجسد كرامة الإنسان وإنسانيته، وبمقدار ما تكون سببا للأمن والاستقرار في المجتمع الذي يعيشون فيه؛ لأن ذلك قاسم مشترك بين المبادئ الإسلامية وتلك النظم.

*رابط المقال : http://www.alwaqt.com/art.php?aid=102237

© 2006 - 2008 صحيفة الوقت، جميع الحقوق محفوظة.

www.alwaqt.com

الوقت

صحيفة الوقت البحرينية - يومية سياسية مستقلة

العدد 760 الجمعة 13 ربيع الأول 1429 هـ - 21 مارس 2008

» إشراقات«

سيد قطب نموذجاً

نحو منهج حركي تطبيقي في تفسير القرآن الكريم

الدكتور خير الدين خوجة:

مرّ التفسير منذ عصر الصحابة رضي الله عنهم إلى يومنا هذا بعدة مراحل، مما أدى ذلك إلى تحوّل مسار التفسير وظهور اتجاهات ومناهج عدة وقراءات معاصرة في تفسير القرآن الكريم توافق أرباب المذاهب والعلوم المختلفة لدى بعض المعاصرين من أبناء جلدتنا. وتعني هذه القراءات الجديدة والمعاصرة استخدام النظريات الجديدة في تأويل وتفسير القرآن الكريم، والتي تؤدي إلى تحريف المعاني القرآنية وتناقضها مع الحقائق الشرعية وتعارضها مع المقاصد الإسلامية العليا. والسبب في ظهور هذه الأفكار والمذاهب الهدّامة؛ هو تلوث أصحابها بالمناهج الفكرية الغربية وعدم احترامهم لقدسية القرآن الكريم وخصوصياته البلاغية والبيانية واللغوية، واعتباره كسائر النصوص البشرية. أصحاب هذه القراءة المعاصرة دعوا إلى "أَنْسَنَةِ

وعَقْلَنَةِ وأرْخَنَة" النص القرآني، ليصلوا في النهاية إلى ربط آيات القرآن الكريم بالظروف الزمنية، وعلى أنه نصّ تاريخي بشري! واستخدموا مصطلحات جديدة خلاف المصطلحات الشرعية، مثل: الأبستمولوجية، الأمبريقية، الإسلاموية، السلفوية، الماضوية، الأنطولوجية، البلشفية، الديالكتيكية، الزمكانية الميكانزماتية، الهرمونوطيقية، والديماغوجية.. الخ، وأطلقوا على القرآن الكريم عبارة (المدونة الكبرى)، وعلى الآية كلمة (العبارة)، وعلى نزول القرآن وصفوه بـ (الواقعة القرآنية).. ظلمات بعضها فوق بعض! القراءات المعاصرة آيلة للسّقوط. ولا شك أن هذه المدرسة ما هي إلا امتداد لمدارس أساتذتهم من المستشرقين الذين قالوا بأن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما هي إلا امتداد لليهودية والنصرانية. ومنهج هذه المدرسة هو التحكّم في النص القرآني وتأويله وفق أدوات منهجية وألسنية غربية مغايرة للقواعد والأساليب العربية. ومن الذين حملوا راية هذه القراءة المعاصرة للقرآن الكريم في هذا العصر من يني جنسنا وأبناء جلدتنا نذكرهم لغرض العبرة والتحذير؛ محمد أركون العلماني الجزائري، محمد شحرور الماركسي السوري، محمد عابد الجابري الاشتراكي، أستاذ الفلسفة على الفكر الاعتزالي حسن حنفي المصري، عبدالمجيد الشرفي التونسي، وجلال صادق العظم معاصر شيوعي سوري من أصل تركي. إن الأمة اليوم في أمسّ الحاجة إلى تفسير يُعيد صياغتها الفكرية من جديد، ويُخرجها من التفكك الذاتي، ويُحرّر ويفجر طاقتها الكامنة من أسر الجمود والتخلف، ويُجدّد فيها روح رسالة الاستخلاف وعمارة الكون. فالتفسير المطلوب هو ذلك التفسير الذي يخرج الأمة عن واقع التخلف ويلحقها بركب التنمية الحضارية والصناعية والإبداعية. مما لا شك فيه أن هذه القراءات المعاصرة آيلة إلى الفشل والسقوط بسبب جهلها للقرآن الكريم وخصائصه اللغوية وأساليبه البيانية ومدلولاته البلاغية ومناهجه

التفسيرية الصحيحة.

إن المنهج الحركي التطبيقي الذي ندعو إليه، لجدير في هذا العصر بأن يُنْعَمَ النظر فيه وأن يُتبنى في تفسير القرآن الكريم وفهمه وتدبره وقراءته، حتى تخرج الأمة الإسلامية من أزماتها الفكرية والنفسية والتربوية والأخلاقية والاقتصادية والدينية، والذي سمّاه سيد قطب: بالمنهج الحركي أو الديناميكي. أما طبيعة ومفهوم هذا المنهج التطبيقي الحركي، فقد بيّنه رحمه الله في مواطن عدة من تفسيره ومؤلفاته قائلاً ".. إن - المسألة في إدراك مدلولات هذا القرآن وإيحاءاته.. إنما هي استعداد النفس برصيد من المشاعر والمدركات والتجارب، تشابه المشاعر والمدركات والتجارب التي صاحبت نزوله وصاحبت حياة الجماعة المسلمة وهي تتلقاه في خضم المعترك.. معترك الجهاد، جهاد النفس وجهاد الناس.. جهاد الشهوات وجهاد الأعداء.. جو مكة والدعوة الناشئة، والقلة والضعف، والغربة بين الناس.. جو الشِّعَب والحصار، والجوع والخوف والاضطهاد والمطاردة، والانقطاع إلا عن الله.. ثم جو المدينة: جو النشأة الأولى للمجتمع المسلم بين الكيد والنفاق.. في هذا الجو الذي تنزلت فيه آيات القرآن حية نابضة واقعية.. كان للكلمات وللعبارات دلالاتها وإيحاءاتها.. إن طبيعة هذا الدين ترفض اختزال المعارف الباردة في ثلاّجات الأذهان الجامدة!.. إن "المعرفة" في هذا الدين تتحول لتوّها إلى "حركة"، وإلا ليست من جنس هذا الدين!.. ومن ذلك تنزلت الأحكام التشريعية كلها في المدينة كحركة في المجتمع المسلم الذي قام هناك، ولم ينزل حكم واحد منها في مكة ليختزن - كمعرفة مجردة - حتى يجئ وقت التنفيذ في المدينة! إن المعرفة للمعرفة ليست منهجاً إسلامياً. في الإسلام المعرفة للحركة، والعلم للعمل، والعقيدة للحياة.. وطبيعة المنهج الحركي الإسلامي أن يقابل هذا الواقع البشري بحركة مكافئة له ومتفوقة عليه، في مراحل متعددة ذات وسائل

متجددة.. ومن أجل أن الجاهلية لا تتمثل في "نظرية" مجردة، ولكن تتمثل في تجمع حركي على هذا النحو؛ فإن محاولة إلغاء هذه الجاهلية، ورد الناس إلى الله مرة أخرى، لا يجوز - ولا يجدي شيئاً - أن تتمثل في "نظرية" مجردة. فإنها حينئذ لا تكون مكافئة للجاهلية القائمة فعلاً والمتمثلة في تجمع حركي عضوي.. إن منهج التلقي للتنفيذ والعمل هو الذي صنع الجيل الأول. ومنهج التلقي للدراسة والمتاع هو الذي خرّج الأجيال التي تليه.."، فرحم الله أستاذنا رحمة واسعة، والله أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

- باحث إسلامي من يوغسلافيا السّابقة

*رابط المقال : http://www.alwaqt.com/art.php?aid=104648

© 2006 - 2008 صحيفة الوقت، جميع الحقوق محفوظة.

www.alwaqt.com

الوقت

صحيفة الوقت البحرينية - يومية سياسية مستقلة

العدد 816 الجمعة 11 جمادة الأولى 1429 هـ - 16 مايو 2008

»إشراقات«

الإرهاب.. الخلفية التاريخية وبراءة الإسلام منه

«1-3»

الوقت - د.خير الدين خوجة:

أثبتت لنا بعض الدراسات الحديثة أن مصطلح الإرهاب Terrorism في الثقافة الغربية تاريخياً أستعملت للدلالة على نوع الحكم الذي لجأت إليه الثورة الفرنسية إبان الجمهورية الجاكوبية في عامي 1873م 1874م ضد تحالف الملكيين والبرجوازيين المناهضين للثورة. وقد نتج عن إرهاب هذه المرحلة التي يطلق عليها Reign of Terror، اعتقال ما يزيد عن 300 ألف مشتبه وإعدام نحو 17 ألفًا، بالإضافة إلى موت الآلاف في السجون بلا محاكمة. وإنْ كان هناك منْ يرجع بالمصطلح والمفهوم إلى أقدم من هذا التاريخ كثيراً، حيث يفترض أن الإرهاب حدث ويحدث على مدار التاريخ الإنساني وفى جميع أنحاء العالم. وقد كتب المؤرخ الإغريقي زينوفون (Xenophon 30 - 34 ق.م) في سياق الثقافة الغربية - عن المؤثرات النفسية للحرب والإرهاب على الشعوب. وقد استخدم حكام رومان من أمثال:(Tiberius) وكاليغولا

((Caligula،العنف ومصادرة الممتلكات والإعدام كوسائل لإخضاع المعارضين لحكمهما. ولعل محاكم التفتيش التي قام بها الإسبان ضد الأقليات الدينية (المسلمين أساساً) أهم محطات الإرهاب الرئيسة في تاريخ الثقافة الغربية. وقد تبنت بعض الدول الإرهاب كجزء من الخطة السياسية للدولة مثل دولة هتلر النازية في ألمانيا، وحكم ستالين في الاتحاد السوفيتي آنذاك، حيث تمت ممارسة إرهاب الدولة تحت غطاء أيديولوجي لتحقيق مآرب سياسية واقتصادية وثقافية. واعتبرت منظمات وجماعات مثل جماعة - بادر ماينهوف - الألمانية، ومنظمة "الألوية الحمراء" الإيطالية، والجيش الأحمر الياباني، والجيش الجمهوري الأيرلندي، والدرب المضيء البيروية، ومنظمة إيتا الباسكية..اعتُبرت من أشهر المنظمات الإرهابية في تاريخ القرن العشرين من منظور غربي (للتوسع انظر: "مفهوم الإرهاب بين الأصل والتطبيق"، معهد الدراسات الإفريقية- جامعة القاهرة).

الإرهاب والأصولية والجذور الدّينية

وقد تولدت في الآونة الأخيرة ظاهرة مستحدثة في لونها وشكلها، بينما هي قديمة وعريقة في أصلها ووجودها. تشير بعض الدراسات أن "من أقدم الأمثلة المعروفة عن حركة إرهابية هي حركة (السيكاريون) وهي طائفة دينية - يهودية قديمة عرفت بتعصبها وتطرفها، على درجة عالية من التنظيم.. في فلسطين عام (66-73 م)، واتبعوا تكتيكات خارجة عن العرف والتقاليد، لمهاجمة أعدائهم في وضح النهار، وكانوا يفضلون أن يتم ذلك أيام الأعياد، حينما تكون الجماهير محتشدة في مدينة القدس. وكان سلاحهم المفضل سيفاً قصيراً (Sica) - أي الخنجر الصغير- يخبئونه تحت ستراتهم. وكانت الأعمال الإرهابية أيضاً موضع تسامح، بل وحتى مباركة لدى - الطبقة العليا من رجال الكهنوت المسيحيين (أمل يازجي ومحمد عزيز

شكري: "الإرهاب الدولي والنظام العالمي الراهن"، دار الفكر، دمشق، ط1, 2002, ص: 86-87). ويرى بعض المؤرخين أن جذور الإرهاب الحسي والفكري تعود إلى الفكر الصهيوني اليهودي، ولشدة تعلق الصهيونية بالإرهاب يجدر بنا أن نعرج إليها قليلاً. يقول المؤرخون إن الصهيونية هي حركة عنصرية سياسية استعمارية أسبغت على اليهودية صفة القومية والدلالة الجنسية، وزعمت أن الشعب اليهودي يكون عرقاً نقياً، ونادت بحل ما أسمته (المشكلة اليهودية)، والتي عارضت اندماج اليهود في أوطانهم الأصلية ودفعتهم للهجرة إلى فلسطين، زاعمة أن لهم فيها حقوقاً تاريخية ودينية، وتلاقت مطامع الصهيونية بأهداف الاستعمار في إقامة دولة فلسطين عن طريق إرهاب وطرد شعبها العربي الأصيل (ياغي، إسماعيل أحمد: الإرهاب والعنف في الفكر الصهيوني، مكتبة العبيكان، ط1, 2003, الرياض، ص:19-20). ومما يؤكد وجود جذور الإرهاب الحسي والفكري في الفكر الصهيوني اليهودي، ما يراه المحللون من أن الفلسفة الصهيونية تقوم على هذه الأسس والمرتكزات: فاليهود هم شعب الله المختار وأن أرواح بني إسرائيل تتميز عن باقي الأرواح، حيث إن الأرواح الأخرى هي أرواح شيطانية شبيهة بأرواح الحيوانات، وأن الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة. هذه الفكرة جعلتهم فئة منعزلة ومنغلقة على نفسها منذ أن نزلوا أرض كنعان (فلسطين) وعندما دخلوا مصر مهاجرين عام 1656 ق.م. إلى يومنا هذا. والدنيا بأسرها ملك لإسرائيل ومن حقه أن يتسلط بوصفه مساوياً للعزة الإلهية. أما فلسطين فهي الهدف الأساس لليهود، وهي نقطة الارتكاز التي يبدؤون منها سيطرتهم على العالم، لأنها حسب زعمهم أرض مقدسة وأرض الميعاد وحق لليهود وحدهم. واليهود في شتى أنحاء العالم يمثلون شعباً واحداً ينتمي إلى أصل واحد، وأن هذا الأصل مرجعه أرض فلسطين، ومن ثم يجب اعتبار يهود العالم جميعاً أعضاء في

الجنسية الإسرائيلية. بينما يرى آخرون أنه بعد أن تم اكتشاف القارة الأميركية في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، يرى هؤلاء أن هذا المجتمع الأميركي قام على أساس عنصري، مصدره الفكر الديني اليهودي التوراتي التلمودي الاستعلائي، بسبب سيطرة التوجيه لفريق بريطاني الذي كان يشدد في الأدبيات العبرية، وكانوا يسمَّون بـ: (Puritans)، (المتطهرون أو طهرانيون)، أي أنهم كانوا يبدون رغبتهم في تطهير الأمة من تعاليم الكنيسة ونفوذها الشعائري والسياسي، وبسبب هذه الرغبة في تطهير الكنيسة وُصف هؤلاء الراديكاليون بأنهم: بيوريتانيون، أي طهرانيون- متزمتون، وكانت جامعة كمبردج مركزاً لهؤلاء المتشددين في المنتصف الثاني من القرن السابع عشر. وكانوا يلتزمون بالمفاهيم العبرية ويعدّونها من الأصول، وكانوا يتخذون موقفاً متشدداً يمارسون العنف ضد كل من يخالفونهم، ولأول مرة في التاريخ ظهر معهم فكرة الأصولية: Fundamentalism))، وكان الإنكليز من أكثر المهاجرين إلى أميركا الشمالية. ويشير الباحثون الآخرون إلى أن الحضارة الأميركية كان منبعها من بريطانيا وبدأت من عهد الملكة إليزابث الأولى في انكلترا، لأن العقود الأخيرة في انكلترا كانت فترة فوضى دينية شديدة. وبناء على هذا الأصل التاريخي الديني اليهودي، والتي قامت أميركا الشمالية على هذا الأساس، فقد أحبّ الأميركيون النظر إلى أنفسهم على أنهم حملة رسالة دينية عالمية خاصة، وأنها إسرائيل جديدة اختارها الله عز وجل لتقوم بدور قيادي في حقبة جديدة من افتداء العالم. (انظر: السحمراني، أسعد: "لا للإرهاب نعم للجهاد"، دار النفائس، بيروت، ط,2003 ,1 ص:39-41).

الإرهاب والإسلام

وبعد هذا العرض التاريخي لجذور الإرهاب، إلا أنه عند التحقيق، يبدو للباحث أن جذور هذه

الظاهرة تمتد إلى عصور وقرون سحيقة، أقدم بكثير من هذا الذي ذُكر. إنها تمتد إلى عهد وعصر ابني آدم، هابيل وقابيل. قال الله عز وجل: "واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قرّبا قربانا فتقبّل من أحدهما ولم يتقبّل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقل الله من المتقين". ثم إن هذه الظاهرة توارثها قوم بني إسرائيل من اليهود والنصارى، مصاصو الدماء وقتلة الأنبياء، وقد تواترت أخبار هذا الإرهاب الفكري والحسي ضد أنبياء الله تعالى ورسله ممالا يدع مجالاً للشك والارتياب (الموجان، أحمد بن حسين بن عبد الله: "الإرهاب..روافده..أسبابه الفكرية...علاجه..أقوال العلماء فيه"، ط1, 2004 سنا الفاروق للنشر، جدة، المملكة العربية السعودية، ص:30). ولقد سجّل قرآننا الكريم للعالم أجمع تلك الأعمال الإرهابية الشنيعة والبشعة، والتي كان يقوم بها اليهود من بني إسرائيل حينما كانوا يقتلون أنبياء الله ورسله بغير حق قائلاً: "قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين". وقال تعالى: "ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون".

وأما في تاريخ الإسلام، فقد ذكر بعض الباحثين أنه قد وُجدت أيضاً حالات الإرهاب منذ أن أشرق فجر الدعوة الإسلامية على يد سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم. لقد تعرض هو وأصحابه الكرام على الإرهاب الرهيب مما اضطر إلى الهجرة إلى الحبشة مرتين، ثم كانت هناك مقاطعة اقتصادية واجتماعية على بني هاشم ثم المؤامرة الكبرى على النبي عليه السلام قبيل هجرته، ثم الإرهاب العسكري بعد هجرة النبي إلى المدينة المنورة. ثم تلت حالات الإرهاب بعد وفاته عليه السلام فقاومهم أبو بكر الصديق بكل ما أوتي من قوة وحزم وأخمد نار تلك الفتنة مع المرتدين. ثم كانت الجريمة الإرهابية المجوسية الكبرى بقتل الخليفة عمر بن الخطاب وهو قائم يصلي في المحراب في مسجد النبي عليه السلام. ثم تلت هذه الحادثة حادثة أخرى إرهابية

على يد الإرهابي اليهودي عبد الله بن سبأ، وانتهت المؤامرة بقتل الخليفة في بيته بعد أن حوصر فيه أياماً. ثم كانت خلافة علي رضي الله عنه ونشب النزاع بينه وبين معاوية رضي الله عنهم فكان ما كان في واقعتي الصفين والجمل، وظهر التشيع، ثم انفصل عن شيعة علي جماعة خرجوا عليه بعد أن رضي بالتحكيم، وأطلق عليهم اسم الخوارج أو الحرورية نسبة للمكان الذي انحازوا إليه، فكانت أول فرقة شذت عن الجماعة بفكرها القائم على أن مرتكب الكبيرة كافر، وكفّروا بعض الصحابة تحت شعار: (لا حكم إلا لله).

هذا السيناريو المُريعاد ويكرر من جديد على يد الاحتلال الصهيوني الإسرائيلي والأميركي، ويمارس في أيامنا هذه بكافة أساليبه وألوانه وأشكاله، ولكن هذه المرة بغطاء وأسلوب جديدين، ولغة حضارية راقية! لغة الدبابات والمدرعات والجرافات والقناصات والطائرات على مرأى ومسمع من العالم المنبهر والساكت مثل الشيطان الأخرس عما يحدث، ضد شعبين عازلين، شعب فلسطين وشعب العراق، ولم يسلم الحجر ولا الشجر، ولا الأخضر ولا اليابس إلا وذاق سوء الإرهاب. يحدث كل ذلك بحجة الدفاع عن النفس ومحاربة خلايا الإرهاب من المسلمين المتطرفين المتزمتين؟! بينما إسلامنا بريء كل البراءة عما يقولون ويصفونه به، وتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

* أستاذ الدراسات الإسلامية- جامعة طيبة - المدينة المنورة

*رابط المقال : http://www.alwaqt.com/art.php?aid=113994

© 2006 - 2008 صحيفة الوقت، جميع الحقوق محفوظة.

www.alwaqt.com

الوقت

صحيفة الوقت البحرينية - يومية سياسية مستقلة

العدد 823 الجمعة 18 جمادة الأولى 1429 هـ - 23 مايو 2008

»إشراقات«

الوسطية فريضة في الإسلام.. والإرهاب مذموم بكل أشكاله

«2-2»

الوقت - د.خير الدين خوجة:

إنّ علاقة الإسلام بالإرهاب المذموم، المبني على الهوى وعلى تصورات بشرية فردية محضة، هي علاقة بعيدة كلّ البعد، ولا تمت إليه بصلة أبداً، لا من قريب ولا من بعيد. وأما الغربيون والمستشرقون فكما هو دأبهم وديدنهم، فإنهم قد تناولوا هذه القضية في دراساتهم وأبحاثهم وخرجوا بنتائج عجيبة والمرضية لكبرائهم وساداتهم، فقالوا عن الإسلام ووصفوه بـ: الإسلام السياسي: Political Islam، والإسلام التقدمي:Progressive Islam ، والإسلام الشعبي أو الجماهيري:Popular Islam، والإسلام التقليدي: Traditional Islam ، وإسلام الصحوة: Resurgence Islam، والإحياء الإسلامي:Islamic Revival، والأصولية الإسلامية: Islamic

Fundamentalism، والإسلام الثوري:Revolutionary Islam ، والإسلام الراديكالي: Radical Islam، والإسلام المتشدد:Rigidified Islam i، والإسلام المسلح: Militant Islam، والعنف الإسلامي: Islamic Violence، وأخيرا الإرهاب الإسلامي: Terrorism Islamic.

لا ضرر ولا ضرار في الإسلام

وهكذا نجد هؤلاء القوم كأنهم مبرّؤون مما يقولون، وكأنهم لا ذنب لهم، وأن كل ما هو قبيح وسيئ هو منسوب إلى الإسلام! فكأنه ليس على وجه المعمورة من الشعوب إلا المسلمون الإرهابيون! هيهات هيهات لما يقولون! ويمكن أن نلخص ردنا على هؤلاء المفترين في هذه النقاط التالية. بادئ ذي بدء أود أن أشير إلى حقيقة دينية وإلى بعض القواعد الشرعية الأصولية المهمة، والتي اصطلح عليها علماؤنا الأجلاء عن طريق الاستقراء لنصوص الكتاب والسنة، مثل قاعدة "لا ضرر ولا ضرار - الضرر يزال بقدر الإمكان- الضرر لا يزال بضرر مثله أو أكبر منه - يحتمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى .."(*انظر: الموافقات في الشريعة الإسلامية، للإمام الشاطبي، القواعد الفقهية، عبدالعزيز محمد عزام، مبادرة وقف العنف - رؤية واقعية ونظرة شرعية، أسامة إبراهيم حافظ*). ومن نصوص الكتاب يمكن ذكر قوله تعالى "مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا". وقوله تعالى "وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"، وقوله تعالى "وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ"، وقوله تعالى "وَالصُّلْحُ خَيْرٌ"، وقوله تعالى "وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء

إلى أمر الله". وقوله تعالى "وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْأِثْمِ وَالْعُدْوَانِ". ومن النصوص النبوية نذكر حديث ابن حبان في صحيحه، وحديث الإمام مسلم أيضًا في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال "من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عِمّيّةٍ يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقِتلة جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب بَرَّها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه"، (صحيح مسلم: ج,3 ص: ,1476 الرقم: 1848).

وروى الإمام أبو داود في سننه عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال "لا يحل لمسلم أن يروِّعَ مسلماً"، (سنن أبي داود، ج,4 ص: ,301 كتاب الأدب، باب من يأخذ الشيء على المزاح). وذكر الإمام الحاكم في مستدركه على الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم "نهى أن يروَّعَ المؤمن أو أن يؤخذ متاعه لاعبًا أو جداً" (المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبوعبدالله الحاكم النيسابوري، ج,3 ص: ,476 الرقم: ,5778 وانظر: البيان والتعريف، إبراهيم بن محمد الحسيني، ج,2 ص:247).

الإسلام دين سلام وأمان

وبناء على ذلك، فإنّ كلّ ضرر حسّي أو معنوي يلحق بالأفراد أو الجماعات البريئة مثل ظاهرة الإرهاب في عصرنا الحاضر، وترويع الأبرياء والآمنين من المسلمين أو المستأمنين من أهل الكتاب، كل ذلك، في نظر الإسلام هي أعمال وأفكار ممقوتة ومنبوذة، ومحرّمة جملة وتفصيلاً بكافة أشكالها وألوانها. وبناء عليه؛ فقد دعانا إسلامنا إلى التمسك والالتزام بالمنهج القرآني في كيفية مواجهة هذا التحدي الفكري والعقدي المنحرف الذي يعاني منه الأخضر واليابس، الصالح والطالح الجماد والحيوان، فضلاً عن الإنسان، والله المستعان وعليه التكلان.

إن ديننا الإسلامي دين سلام وأمان، ودين حياة وبناء وحضارة، جاء لرعاية مصالح العباد في المعاش والمعاد، وليس دين موت وقتل وتخريب وترهيب وترويع، كما قد يَتَوَهّم ذلك بعض منْ لا نصيب له من العلم أو الفقه الشرعي المستنير. وهذا هو السر في محاربة الإسلام لتلك الظاهرة المدمرة والمهلكة للحرث والنسل، ظاهرة الغلوّ أو التنطع الفكري أو المذهبي أو العقدي، المؤدية إلى الإرهاب والقيام بالأعمال الإجرامية؛ لأنها لم تأت بخير قط في تاريخ البشرية، لا للأولين وللآخرين. وبناء على هذه الحقيقة التاريخية، دعانا إسلامنا إلى نور الوسطية وميزان الاعتدال وإلى الاحتكام إلى: "المرجعية المركزية" أو مقياس المركز The Criteria of the Center (انظر: فتاح، عرفان عبدالحميد: محاضرات عن قضايا أساسية في أديان العالم - on Major Themes in World Religions Lectures من مطبوعات الجامعة الإسلامية العالمية بكوالا لامبور- ماليزيا، 2000) - القرآن والسنة - لنستقي منهما علاجنا ونستبين سبيلنا إلى مرضاة الله في الدنيا والآخرة. وفوق ذلك كله، فقد تقرّر لدى أهل الحل والعقد من علماء الأمة الإسلامية سلفاً وخلفًا أن مقاصد تشريعات ديننا الحنيف انصبّت على حفظ كبرى القضايا الإنسانية، والتي لا تستقيم الحياة الإنسانية إلا بها، وعليها تقوم مصالح البشر قاطبة. هذه المصالح التي جاء بها ديننا الحنيف لحفظها هي مصالح مقدسة لا يجوز التعرض لها بأي سوء، وهي: حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال، وهذا الذي سُمّي لدى المحققين من العلماء بـ: الكليات الخمس، الضرورية (يراجع في هذا الخصوص: الموافقات في الشريعة الإسلامية للإمام الشاطبي، فإنك ستجد فيه قولاً شافياً وكافياً، ج/1 ص: 219-255). نستخلص مما سبق أن ظاهرة الإرهاب والقتل وترويع الآمنين وتدمير المصالح البشرية وانتهاك حرمات الآخرين، تتعارض وتتناقض مع روح هذه التعاليم الربانية والمقاصد الإنسانية

السامية. وعليها، فقد أجمع عقلاء هذه الأمة المباركة سلفاً وخلفاً على وجوب الالتزام والأخذ بفريضة الوسطية في أمور الدين كلها، وبات هذا الالتزام قضية مسلمة بها لدى المحققين من أهل العلم، إلا من لا يعتد بخلافه ولا عبرة برأيه. وإن قوماً ضلوا وشذوا عن جادة الوسطية، والالتزام بهذه الفريضة الربانية وهذا الهدي النبوي المعصوم، كان عاقبة أمرهم خُسْراً وهم يحسبون أنهم يحسنون صُنعاً.

- أستاذ الدراسات الإسلامية

جامعة طيبة - المدينة المنورة

*رابط المقال : http://www.alwaqt.com/art.php?aid=115072

© 2006 - 2008 صحيفة الوقت، جميع الحقوق محفوظة.

www.alwaqt.com

الوقت

صحيفة الوقت البحرينية - يومية سياسية مستقلة

العدد 851 الجمعة 16 جمادة الثاني 1429 هـ - 20 يونيو 2008

»إشراقات«

ضعف البصيرة وقلة البضاعة

الغلو وتطرّف الشباب.. ضعف البصيرة وقلة البضاعة

(3 – 3)

الدكتور خير الدين خوجة:

وقفنا في مقالاتٍ سابقة على مفهوم الإرهاب والخلفية التاريخية له، وبراءة الإسلام من تهمة الإرهاب والتشدّد. واليوم سنقف وجهاً لوجه مع المتشدّدين وأهم سماتهم وملامحهم ومظاهر التشدّد فيهم في عصرنا الحاضر. وفي هذا المقام أرى من المناسب أن أسوق تحليل أحد رجال الفكر الإسلامي وهو يشخّص الأوضاع الراهنة ومدى صعوبة فهمها، فرأيتُ من المصلحة نقل كلامه بشيءٍ من الإيجاز، ثم أعقب عليه بما يفتح الله عليّ، حيث -قال حفظه الله عزّ وجل- في هذا الصدد: "إن فهم العصر الذي نعيش، هو الخطوة الأولى التي يجب أن نخطوها نحو التمكّن من العيش فيه على نحو مقبول وفعّال.

ليس فهم زماننا وواقعنا بالأمر اليسير؛ فالواقع المعيش أشبه بما سماه الفلاسفة بـ: (الهيولى) وهو أحياناً أشبه بـ (الزئبق) فهو يطاوعك إلى أقصى حدٍّ، ولكنه يتأبّى على التشكيل والقولبة،

فتكون مطاوعته الشديدة خادعة".

ويضيف الكاتبُ: "وهكذا شأننا مع الأحداث الجارية في عصرنا، فعلى حين يدّعي معظم الناس أنهم فاهمون لكلّ ما يجري ومستوعبون، يأتي منْ يقول: إنّ الناس غير دارين بشيء؛ وما يقال ويعلن يعطي انطباعا مغايرا تماما لما يجري في حقيقة الأمر.

سبب الصعوبة البالغة في فهم الواقع العام، والعصر - على نحو أعتقد - أن الناس أينما كانوا لا يستطيعون فهم الواقع إلا عبر (إشكالية) أو بنية معرفية فكرية مكونة من ثلاثة عناصر أساسية، هي؛ معتقداتهم وقيمهم، ومركبهم العقلي، والمعلومات المتعلقة بالشيء أو الحدث الذي يحاولون فهمه.. كما أن سلّم القيم والأولويات ليس ذا ترتيب واحد بينهم، ومركباتهم العقلية أو المبادئ الثقافية والمعرفية التي ينظرون من خلالها إلى الأشياء، ليست هي الأخرى موحدة...إنا نريد فهم قضية بالغة التعقيد؛ فإن مما يعيننا على ذلك، تفتيت تلك القضية إلى أكبر عدد ممكن من الأجزاء؛ وكلما نجحنا في تفتيتها أكثر، كان ذلك عوناً لنا على فهم أعمق لها. إذا أردنا - على سبيل المثال - فهم ظاهرة (الفقر)، وجب أن نعرِّف الفقر ونحدّد مرادنا من وراء إطلاق هذه الكلمة، وأن نحدّد زمان هذه الظاهرة ومكانها ونبحث بعد ذلك في جذور الفقر العميقة وأسبابه المباشرة وغير المباشرة، والجهات المسئولة عن وجوده...فهم تاريخ البلد الذي توطنت فيه الظاهرة وجغرافيته وموارده الاقتصادية، والعادات الاجتماعية السائدة فيه وطبيعة النظام السياسي الذي يحكمه وفعالية نظامه القيمي في توجيه السلوك، ومدى سيادة القانون والنظم فيه... ". (بكار، عبد الكريم: "عصرنا والعيش في زمانه الصعب"، ص:21-23).

ويرى المفكرون أنه بسبب الهزيمة النفسية المهيمنة على نفوس وقلوب المسلمين، والأزمة العقلية التي يعيش فيها المسلمون، والإرهاق الفكري الذي أصاب العالم الإسلامي والتدهور الاقتصادي والفقر المدقع الذي تعيش فيه كثير من الدول الإسلامية، والانقسام الحزبي والافتراق السياسي الذي ابتلى به المسلمون، والانحلال الخلقي وفوضى الإباحية التي نشاهدها في المجتمعات الغربية ولدى كثير من المجتمعات الإسلامية؛ كلّ ذلك بات قضية العصر الذي نعيش فيه، ويا أسفىَ على ذلك! نتيجة لهذا الوضع المأساوي الذي يرثى له ويندى له الجبين، برزت ثلة من الشباب الإسلامي المتحمس المتطرف والمتزمت، تنادي باسترجاع عزة الإسلام وشرف المسلمين، عن طريق استعمال القوة أو "رفع راية الجهاد" ضد حكام وولاة أمور المسلمين أو الخروج عليهم، وعزلهم عن السلطة وإبدالهم بآخرين منهم قادرين في رأيهم على رفع راية الجهاد ومدّ يد العون إلى إخوانهم المسلمين المضطهدين، ومعارضة الغطرسة الأمريكية وطغيانها السياسي في الشرق الوسط، وتأييدها المطلق والأعمى للسياسة الوحشية الإسرائيلية وموقفها المزدوج في حقّ الشعب الفلسطيني والمسلمين عموما. هذا هو الدافع الأساسي الذي دفع بهؤلاء الفتية المتحمسين والمغرورين إلى القيام بهذه الأعمال العنيفة والإجرامية في حق المدنيين والأبرياء والأطفال والشيوخ والنساء وتدمير المنشآت الحكومية، وتفجير المباني والجسور، وقتل رجال الأمن واغتيال المسئولين من الذميين من الأجانب من أهل الكتاب المتعاقدين مع الدولة، وبث الرعب والخوف في صفوف المواطنين. وفيما يخصّ الجهاد الإسلامي أو المقاومة الشرعية ضد المحتل في العراق، فقد وقع على مشروعية ذلك عدد كبير من أساتذة الجامعات والمتخصصين في العلوم الشرعية في المملكة

العربية السعودية. إلا أنه قد وجد ثلة من المعارضين لهذا الموقف الموحّد، ومنهم الشيخ عبد المحسن العبيكان، وله رأي في هذه المسألة، والتي سمّاها: بجهاد الدفع. ولكن..هل الغاية النبيلة تبرّر الوسيلة الخاطئة؟!

إنّ هؤلاء الفتية أخطؤوا الطريق بل هم ضلوا السبيل غير مدركين لذلك. إن قراءتنا للواقع الجديد المحسوس، يجب أن تكون قراءة سليمة وسديدة، ورؤيتنا رؤية شرعية ثاقبة، و".. الخطأ في الرؤية الشرعيّة لأيّ حادث يكمن في إحدى أسباب ثلاثة؛ في الفهم الخاطئ لنصوص الشريعة، في الفهم الخاطئ للواقع الذي يُراد تنزيل النّص عليه، أو الخطأ في اختيار الدليل الشرعيّ الذي يناسب هذه الواقعة.

وعلى المسلمين أن يقدّموا المصالح الضرورية على المصالح الحاجية والتحسينية.. وإنّ المصالح إذا تعارضت فوّتت المصلحة الدُّنيا في سبيل المصلحة العُليا، وألغيت المصلحة الطارئة لتحصيل المصلحة الدائمة، وأُلغيت المصلحة الشكليّة لتحقيق المصلحة الجوهريّة..". (عبد الله، ناجح إبراهيم، تفجيرات الرياض - الأحكام والآثار)،

إنهم بهذه التصرفات العاجلة أساؤوا إلى الإسلام إساءة بالغة، حيث أنكروا وجحدوا فريضة الأمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بمراتبها المعروفة، كائناً منْ كان المنهي أو المأمور، حتى وانْ كان السلطان أو الإمام. كما أنهم نسوا أو تناسوا وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم وأوامره بطاعة الأمير وسمعه وعدم الخروج عليه، وإنّ أكل مالنا وضرب ظهرنا، إلا أن نرى منه كفرا بواحا وصريحا، لنا فيه من الله برهان. جاء في صحيح الإمام مسلم قوله صلى الله عليه وسلم: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحبّ وكره ما لم يؤمر بمعصية. فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»، (صحيح مسلم، ج3 ص: 1469، رقم الحديث: 1839)، وقوله

صلى الله عليه وسلم: «تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فاسمع وأطع»، (صحيح مسلم، ج,12 ص 227-228)، و: «الطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك..»، (صحيح مسلم، ج,3 ص: ,1467 رقم الحديث: 1836).

ملامح المتشددين والغلاة

ذكر العلماء والمفكرون أن من أبرز ملامح الغلو والتشدد هو:

التعصّب للرأي وعدم الاعتراف بالرأي الآخر في الأمور الاجتهادية والأمور المحتملة، وكثيراً ما تجعل الأمور الاجتهادية أموراً مقطوعة ويقينية، ليس فيها إلا قول واحد وهو قوله، فهو لا يسمع حججَ الآخرين ولا يفكر فيها ولا يقارن كلامه بكلامهم.. والعجيب أنّ منهم منْ يجيز لنفسه أن يجتهد في أغوص المسائل وأغمض القضايا وهو غير أهل للاجتهاد! فكأنه يقول: رأيي صواب لا يحتمل الخطأ ورأيك خطأ لا يحتمل الصواب، فهناك الاتهام بالابتداع أو بالاستهتار بالدين أو بالكفر والمروق. إن هذا الإرهاب الفكري أشد تخويفاً وتهديداً من الإرهاب الحسي.

إلزام جمهور الناس بما لم يلزمهم الله به التزام التشدد مع قيام موجبات التيسير، رغم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يسّروا ولا تعسّروا وبشّروا ولا تنفروا..»، فلا يجوز للمسلم أن يُلزم جمهور الناس ما يجلب عليهم الحرج في دينهم والعنت في دنياهم، فقد كان صلى الله عليه وسلم إذا صلى لنفسه طول الصلاة وإذا صلى بالناس خفف، وقال:«إذا صلى أحدكم لنفسه فليطوِّل ما شاء..»، وقال لمعاذ لمّا أطال الصلاة بالقوم: «أفتان أنت يا معاذ»؟ وكررها ثلاثاً، رواهما البخاري. ومن التشدد على الناس محاسبتهم على النوافل والسنن كأنها فرائض، وعلى المكروهات كأنها محرمات.

التشدّد في غير موضعه، في غير زمانه ومكانه، كأن يكون مع قوم حديثي العهد بالإسلام أو

حديثي عهد بتوبة، أو في غير دار الإسلام وبلاده الأصلية، فهؤلاء ينبغي التساهل معهم في المسائل الفرعية والأمور الخلافية، والتركيز معهم على الكليات قبل الجزئيات والأولويات قبل الثانويات، ولذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل لما بعثه إلى اليمن: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله..» قد نرى اليوم بعض الشباب المسلم المتحمّس من دول الغرب ينكرون على إخوانهم الذين يرتدون البنطال أو الكرافتة لا الجلباب الأبيض، ويأكلون على المناضد لا على الأرض، وكان الأجدر بهم أن يدعو الناس إلى توحيد الله والتذكير بالآخرة والقيم الدينية العليا وأن يبحثوا كيفية إنقاذ الناس من المهلكات والكبائر، مثل عقوق الوالدين والزنا وتعاطي المنكرات والمسكرات والرشاوي والمتاجرة بالأطفال والعاهرات.

الغلظة والخشونة في التعامل والفظاظة في الدعوة خلافاً لأوامر الله وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن" (النحل، 125) وقال تعالى: "فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك.." (آل عمران، 159). فهؤلاء تجدهم للأسف لا يفرقون في ذلك بين كبير وصغير ولا بين منْ له حرمة خاصة كالأب والأم ومن ليس كذلك، ولا بين منْ له حق التوقير كالعالم والفقيه والمعلم والمربي.

سوء الظن بالناس. فالأصل عند المتشدد هو الاتهام والشك، خلافاً لما تقرره الشرائع والقوانين: (إن المتهم بريء حتى تثبت إدانته)، فنجد المتشددين يسارعون إلى سوء الظن والاتهام لأدنى السبب، فلا يلتمسون المعاذير للآخرين، بل يفتشون عن العيوب، ويجعلون من الخطأ خطيئة، ومن الخطيئة كفراً، فإذا خالفتهم في سنة حمل العصا، أو الأكل على الأرض

مثلاً، اتهموك بأنك لا تحترم السنة ولا تحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يقف الاتهام عند الأحياء، بل انتقل إلى الأموات، كأئمة المذاهب المتبعة لم يسلموا من ألسنتهم وسوء ظنهم، ولو رجعوا إلى القرآن والسنة لوجدوا فيهما ما يغرس في نفس المسلم حسن الظن بالمسلمين..قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا" (الحجرات، 12). وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث» فيجب على المسلم أن يكون عادلاً منصفاً يزن الناس بميزان الشرع والوسطية.

"..النظرة المثالية للمجتمع الذي ينبغي أن يكون..فيعتقد أن المجتمع المسلم ينبغي أن يكون مجتمعاً ملائكياً يسوده الحب والمودة والطاعة الدائمة دونما تقصير. فإن كان المجتمع الحالي هكذا فهو مجتمع مسلم، وإن وجدت المعاصي فهو مجتمع جاهلي غير إسلامي، وهذا غلو في التصور وبعدٌ عن الواقع... فكل ابن آدم خطاء..وقد كانت المعاصي والذنوب في كل الأمم وفي أتباع الرسل... وأن خير القرون قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن خالياً من المعاصي سواء كانت من الكبائر أم من الصغائر..فلا ينبغي للمسلم أن يتخيل المجتمع المسلم خالياً تماماً من جميع الذنوب والآثام، فإن ذلك لم ولن يكون..بل عليه أن يكون واقعياً. السقوط في هاوية التكفير. ويبلغ هذا الغلو غايته حين يسقط عصمة الآخرين ويستبيح دماءهم وأموالهم ولا يرى لهم حرمة ولا ذمة، وذلك عندما يخوض في لجّة التكفير واتهام جمهور الناس بالخروج عن الإسلام، أو عدم الدخول فيه أصلاً..وهذا يمثل قمة الغلو الذي يجعل صاحبه في واد وسائر الأمة في واد آخر. وهذا ما وقع فيه الخوارج في فجر الإسلام والذين كانوا أشد الناس تمسكاً بالشعائر التعبدية صياماً وقياماً وتلاوة للقرآن الكريم، ولكنهم

أُتوا من فساد الفكر لا من فساد الضمير..وضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً..ومن ثم وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم وقيامه إلى قيامهم وقراءته إلى قراءتهم»، ومع هذا قال عنهم: « يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية..»، ووصف صلتهم بالقرآن فقال: «يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم....»وذكر من علاماتهم المميزة بأنهم: «يقاتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان». وما وقع لطائفة الخوارج قديماً وقع لأخلافهم حديثاً، وهم جماعة التكفير والهجرة، فهم يكفرون كلّ من ارتكب معصية وأصرّ عليها ولم يتب عنها، وهم يكفرون الحكام والمحكومين والعلماء والعوام وكلّ منْ عرضوا عليه فكرهم فلم يقبله..ومنْ بايع إمامهم ودخل في جماعتهم ثم تراءى له لسبب أو لآخر أن يتركها فهو مرتد حلال الدم. وهكذا أسرف هؤلاء في التكفير..فكفروا الناس أحياء وأمواتا.

أسباب الغلو ودوافعه

* يرى المفكرون والمحللون من العلماء أن من أسباب ودوافع الغلو والتشدد والتنطع:

* ضعف البصيرة بحقيقة الدين، وقلة البضاعة في فقهه والتعمق في معرفة أسراره والوصول إلى فهم مقاصده واستشفاف روحه.

* الاتجاه الظاهري في فهم النصوص، دون التغلغل إلى فهم فحواها ومعرفة مقاصدها، ولا ينظرون إلى العلة والحكمة من وراء التشريع.

الاشتغال بالمسائل الجزئية والجانبية عن القضايا الكبرى التي تتعلق بوجود الأمة الإسلامية ومصيرها وهويتها.

* الإسراف في التحريم بغير دليل وتتبع زلات الآخرين من العلماء والمفكرين، وهذا خلاف ما

كان عليه السلف الصالح، فإنهم كانوا لا يطلقون الحرام إلا ما علم تحريمه جزماً..أما الميالون للغلو فما أسرعهم على ذلك دون تحفظ..

* اتباع المتشابهات من النصوص وترك المحكمات البينات.

* عدم التعلم على أيدي العلماء والتتلمذ بين يدي المشايخ الربانيين.

* ضعف البصيرة بالواقع والحياة والتاريخ وسنن الكون.

ويرى بعض المفكرين الآخرين أن الخلل لدى هؤلاء يكمن في فقه الجهاد وفقه النظرة إلى غير المسلمين، وفي فقه العلاقة بأهل الذمة وفي فقه تغيير المنكر بالقوة كما أن هناك خللا في فقه الخروج على الحكام. نسأل الله تبارك وتعالى أن يفهمنا دينه على الوجه الذي يرضى عنه، وإلى لقاء آخر مع جهود الدبلوماسيين ورجال السياسة والأمن في معالجة التشدد والغلو نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية.

* أستاذ الدراسات الإسلامية - جامعة طيبة- المدينة المنورة

*رابط المقال : http://www.alwaqt.com/art.php?aid=119477

© 2006 - 2008 صحيفة الوقت، جميع الحقوق محفوظة.

www.alwaqt.com

الوقت

صحيفة الوقت البحرينية - يومية سياسية مستقلة

العدد 802 الجمعة 26 ربيع الثاني 1429 هـ - 2 مايو 2008

»إشراقات«

نحن والآخر

دروس وعِبر في استراتيجيات التعامل مع الآخرين

د. خير الدين خوجة:

يقول الله عز وجل في القرآن الكريم: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً). إن رسولنا صلى الله عليه وسلم إمامٌ وقدوة، جعله الله عز وجل إماماً وقدوة ونبراساً لهداية الخلق أجمعين. أرسله الله عز وجل رحمة للعالمين، ونحن في هذه الأيام أحوج ما نكون إلى هديه وإلى النموذج العملي لحلّ قضايانا ومشاكلنا الاجتماعية والدينية. وبادئ ذي بدء؛ فإن ما يمكن تقريره في خضم هذه الأمواج العاتية الاجتماعية المتدهورة، هو أن مستقبل البشرية ومصيرها مرتبطان بأمرين مهمين هما: علاقة الإنسان بالخالق سبحانه وتعالى، وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان.

وقد قدم الرسول صلى الله عليه وسلم النموذج العملي الرائع في الأمرين معاً. ففي جنب الله كان صلى الله عليه وسلم على درجةٍ عالية من التعبّد والإيمان والإخلاص والتقوى والخشية والإنابة والوقوف عند حدوده. وأما في جانب علاقة الإنسان بأخيه الإنسان فقد ضرب لنا أروع نموذج وأحسن المثل. فسيرته العطرة مليئة بالشواهد وناطقة بهذه الحقائق. فقد كان

صلى الله عليه وسلم مضرب مثل في تعامله مع الآخر، وفي رحمته بالضعيف وإحسانه إلى البعيد والقريب ولطفه مع الشريف والفقير، سواء أكانوا مسلمين أو غير مسلمين. وبناء على هذه الأخلاق النبوية السامية؛ فإن على المسلم أيضاً أن يقف موقفاً يتلاءم مع عقيدته ومع أخلاق الإسلام وآدابه. ويحسن بنا في هذا المقام أن نتطرّق إلى استجلاء بعض الحقائق من خلال رجوعنا إلى بعض الأحاديث النبوية وسيرته العطرة صلى الله عليه وسلم لنفهم موقف الإسلام تجاه هذه القضية الراهنة والتي أشغلت بال كثير من الدعاة والمفكرين.

منْ الآخر؟ وما موقف الرسول الكريم؟

كثيراً ما نسمع في هذه الأيام كلمة (الآخر)، وكثيراً ما يستخدمه الكتاب والمفكرون، فما هي أسباب شيوع هذه اللفظة؟ يقول بعض العلماء إنّ كل واحد منا بالنسبة إلى غيره هو آخر: فالزوجة آخر، والأب آخر، والابن آخر، والصديق آخر، والعدو المحارب هو آخر، والمنافس في اللعبة آخر، والمسلم آخر، واليهودي آخر والنصراني آخر. ولكن غلب استعمال هذه الكلمة (الآخر) لدى مثقفي اليوم وغيرهم على (الغرب) أو على (غير المسلمين) من اليهود والنصارى، نظراً لتدهور العلاقات السياسية والدبلوماسية والدينية، وأيضاً نظراً للتاريخ الماضي الدامي بين المسلمين والصليبيين. ويمكن أن نصنف مواقف النبي صلى الله عليه وسلم تجاه الآخرين الذين ذكرنا بعضهم؛ من خلال تعرفنا على هذه الجوانب الإنسانية من حياته:

احترام النفس البشرية

علمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن الناس مهما اختلفوا في لغاتهم وألوانهم وأجناسهم وأديانهم، وحتى يخففوا التوتر الذي بينهم، فإنه يمكن لهم أن يجتمعوا على أرضيةٍ مشتركة ومظلة واحدة وعلى صعيد واحد، وذلك من خلال الاحترام والإكرام المتبادل فيما بينهم، كما

قال تعالى: "ولقد كرمنا بني آدم". فالله عزّ وجل أكرم بني آدم على حدٍّ سواء بالعقل والإدراك والتمييز، وأرسل إليه الرسل وأنزل عليه الكتب وسخّر له ما في الكون. وفي هذا التكريم العام يشترك فيه كلّ بني آدم على اختلاف مللهم. وفي سلوك النبي صلى الله عليه وسلم تأكيدٌ لهذا المعنى الذي نرمي إليه. فقد أخرج الإمام البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا رأيتم الجنازة فقوموا حتى تخلفكم. فمرت به يوماً جنازة فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: أليست نفساً؟". ففي هذا الحديث فيه معنى جليل وكبير؛ كيف أن أعظم الناس قدراً يقف مدة من الزمن حتى تتجاوز جنازة شخص من غير ملته ودينه.

مد جسور الثقة

كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً على بناء وتقوية العلاقة والتواصل مع الآخر، وتوليد المشاعر الإيجابية فيما بينهم. ومن خلال سيرته العطرة نستخلص هذه الحقيقة. فحين أراد النبي صلى الله عليه وسلم الهجرة إلى المدينة فقد استعان برجل مشرك وهو عبد الله بن أريقط الليثي ليدلّه على الطريق الخفي للهجرة حتى يسلم من أذى قريش. والعملية كانت في منتهى الخطورة بسبب أن قريشاً خصّصت مكافأة ضخمة قدرها مائة ناقة لمنْ يُعيد محمداً إليهم، ومائة ناقة لمن يعيد الصدّيق إليهم؟ ولكن منهجية النبي صلى الله عليه وسلم في الانفتاح على الآخر، وتأسيس نوع من الثقة المتبادلة دفعته إلى تحمّل تلك المخاطرة. والقصة الأخرى أشدّ عجباً وغرابة من الأولى! فإنّ قريشاً قبل الهجرة كانت تؤذي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، لكنها كانت تثق به وتُودع ما لديها من الأمانات والأموال، والرسول صلى الله عليه وسلم كان يقبل ذلك. فهذا التصرّف من إمام الدعوة انطلق من حسّه وشعوره بضرورة بناء الثقة من أجل كسر المفاصلة، وكسب قلوب الأفراد الجدد للدعوة. وممّا يدلّ على هذا

البعد الذي كان يتمتع به النبي صلى الله عليه وسلم الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كان غلام يهودي يخدم رسول الله صلى الله فمرض، فأتاه النبي فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم. فنظر الغلام إلى أبيه وهو عنده، فقال له أبوه: أطع أبا القاسم. فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه بي من النار". فقد يتعجب اليوم كثير من المسلمين في هذا الزمان من هذه الحادثة، ولكن الأمر في ذلك الوقت كانت على هذه الصورة، فقد شكّل انفتاح المجتمع المسلم على المجموعات والأقليات والديانات الأخرى دوراً كبيراً في التعريف بالإسلام ورسالته وأخلاقياته.

وأما ما نراه اليوم في كثير من بلاد المسلمين من جفاء وتباعد بين المسلمين وغيرهم من الملل، فهو ليس نابعاً من التوجيهات والآداب الشرعية، بقدر ما هو نابع من بعض المشاعر النفسية والأعراف الاجتماعية المبنية على الخوف والشك. الإسلام أجاز لنا عيادة الذمي ونصحه والإحسان إليه ودفع الظلم عنه. وهناك فرق شاسع بين كافر يُقيم في أوساط المسلمين مسالماً، يساهم في تنمية المجتمع وبنائه، وبين كافر يحاربهم ويظاهر أعداءهم عليهم. ومما يدل على علاقة النبي صلى الله عليه وسلم والصلات التجارية والمالية والتجارية مع غير المسلمين، ما ذكره الإمام البخاري في قصة يهود الخيبر، فقد أعطى لهم النبي صلى الله عليه وسلم الأراضي والمزارع ليعملوا فيها ويزرعوها ولهم شطر ما يخرج منها. وكذلك ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم رهن درعه عند يهودي على ثلاثين صاعاً من شعير. وقد أهدى النبي صلى الله عليه وسلم إلى عمر بن الخطاب حلة، فأرسل بها عمر رضي الله عنه إلى أخ له بمكة قبل أن يسلم.

إنّ هذا التهادي كان يحمل في طياته بعضاً من معاني المواطنة أو العيش على أرض مشتركة ووطن واحد. وهذه التصرّفات النبوية تتفق مع قول الله عز وجل: "لا ينهاكم الله عن الذين لم

يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين". وهذا البرّ لهم يكون كما قال بعض العلماء الرفق بضعيفهم وسد حاجة فقيرهم وإطعام جائعهم وكساء عاريهم ولين القول لهم على سبيل التلطف لهم والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة.

3- استيعاب الآخر

وقد تحدثُ الخلافات والخصومات بسبب التباين والاختلاف بين الطرفين، فالنبي صلى الله عليه وسلم قد علمنا كيف نستوعب التباينات الموجودة بيننا، وذلك باهتمامه بجوهر القضايا والابتعاد عن الشكليات. والمتأمل في أسلوبه صلى الله عليه وسلم مع المخالفين من الكفار والمنافقين يجد هذه المعاني جلية أمامه. ويدلّ على ذلك قصة صلح الحديبية، عندما اعترض له سهيل بن عمرو على بعض الألفاظ في الوثيقة. فعندما كتب علي بن أبي طالب: بسم الله الرحمن الرحيم، قال له سهيل: أما الرحمن فو الله لا ندري ما هو؟ ولكن اكتب باسمك اللهم. فأمر النبي صلى الله عليه وسلم علياً أن يكتب ذلك. ثم أملى عليه: هذا ما صلح عليه محمد رسول الله. فقال سهيل: لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله. فقال عليه الصلاة والسلام: إني والله رسول الله وإن كذبتموني، وأمر علياً أن يكتب محمد بن عبد الله وأن يمحو لفظ رسول الله، فأبى علي أن يمحو هذا اللفظ، فمحاه صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة.

في هذه الحادثة دروس وإشارات إلى المسلمين والدعاة خاصة بأن يمتلكوا من القدرة على المرونة والتفهّم لإمكانية التواصل بمنْ نختلف معه، وأن لا نقف عند الشكليات والظواهر، وإنما علينا التركيز على حقائق الأشياء وجواهرها، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان واثقاً بنصر

الله ووعده سبحانه إياه بدخول مكة، فلأجل ذلك لم يبال مع المشركين في التنازل عن بعض الشكليات، والتي تبدو في بادئ الأمر كبيرة، ولكنها عند التحقيق وإمعان النظر ليست كذلك، والله أعلم.

4- التريث وعدم العجلة في إصدار الأحكام

العجلة شيء أصيل في نفوس البشر، فقد جرت العادة أن نحكم بالضلال والخطأ على منْ اختلفنا معه اختلافاً شديداً. والنبي صلى الله عليه وسلم يرشد أمته بعدم المسارعة في تكوين التصورات والانطباعات النهائية عن الآخرين، ولاسيما أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فيقول لأمته: "إذا حدّثكم أهل الكتاب، فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله.."، لأن عندهم إرثاً من الأنبياء.

5 - الاستفادة من الآخر

قد يكون لدى هذا الآخر حل لبعض المشكلات التي لدينا، وقد يكون عنده شيء من الصواب والخبرة فنحتاجه إليها. ويدل على ذلك الحديث الذي رواه الإمام مسلم قوله صلى الله عليه وسلم: "لقد هممت أن أنهى عن الغَيلة حتى ذكرت أن فارس والروم يصنعون ذلك، ولا يضر أولادهم" - والغيلة أن يجامع الرجل زوجته وهي ترضع أو تحمل زوجته وهي مرضع -. فالعداء مهما يكن لا يكون مسوغاً من عدم الاستفادة من خبرة الآخرين. فالنبي صلى الله عليه وسلم استفاد من تجارب الفرس والروم في هذه المسألة. وكذلك منْ تأمل سيرة الخلفاء الراشدين، في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه واتخاذه نظام الدواوين والسجلات الإدارية والمالية لبيت مال المسلمين، وأن هذا النظام لم يكن من عادات وأعراف العرب، وإنما كان من عادات وأعراف الأعاجم.

6- الوفاء بالعهود

وهذا من أعظم أخلاق النبوة في علاقته صلى الله عليه وسلم وتعامله مع الآخرين المعاندين والمحاربين. ذكر الإمام مسلم قصة حذيفة بن اليمان أنه قال: ما منعني أن أشهد بدراً إلا أني خرجت أنا وأبي سحيل، قال: فأخذنا كفار قريش، قالوا إنكم تريدون محمداً؟ قلنا: ما نريده، ما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة، ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه الخبر، فقال: انصرفا، نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم". والقصة الأخرى في صلح الحديبية، أن أحدى بنوده كانت أن منْ جاء النبي صلى الله عليه وسلم من قريش رده عليهم، ومنْ جاء قريشاً من المسلمين لم يردوه عليهم.

7 - السماحة والعفو

ويدل على ذلك قصة ذهاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وما تعرّض له من ألوان العذاب على أيدي غلمانهم وسفهائهم، وعندما نزل عليه جبريل عليه السلام ومعه ملك الجبال، الذي نادى النبي صلى الله عليه وسلمه، ثم قال: يا محمد إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً. وكذلك قصة فتح مكة أكبر شاهد على هذا الخلق الرباني الذي تحلى به النبي صلى الله عليه وسلم. وكذلك حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ما ضرب شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله، فينتقم لله عزوجل. هذا ما يحتاجه إليه العالم إليه اليوم في كل مكان، وهذا ما تحتاجه أمة الإسلام.

موقفنا من اليهود والنصارى

إن القرآن الكريم قد بيّن لنا أن موقف أهل الكتاب من المسلمين لن يكون كموقف المسلمين تجاه أهل الكتاب، قال تعالى: "لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون". فالتباين أو الاختلاف الذي يقع بيننا وبينهم ليس بسبب الأحكام الشرعية التي عندنا، ولكن بسبب سياسات الاعتداء والظلم والاستغلال الذي يواجهها المسلمون من خصومهم. فعداوة اليهود للمسلمين ليست بسبب المستوى العقدي، ولكن بسبب ما لديهم من الأحقاد والضغائن. فنحن على رغم ما يفعله اليهود والنصارى ومنْ نهج نهجهم في فلسطين والعراق فإننا لم نُحدِث أي تغيير في موقفنا الفقهي تجاههم، كما أننا ليست عندنا أحكام تميّز النصارى منهم. ولكن إذا ما تحوّل النصراني أو اليهودي أو البوذي إلى (محارب)، فإن موقفنا يتغيّر بدون أي تفريق بينهم. فالتوتر الحاصل بيننا وبينهم ليس قائماً على الاختلاف العقدي وإنما على التعامل والمواقف. ونحن نأمل أن يتفهم الغرب (أميركا وأوربا) هذا المعنى وأن يسعى إلى تحسين علاقاته مع المسلمين، ولكن ليس عن طريق تغيير عقائدهم وتشويه صورة الإسلام ونبي الإسلام، كما فعل بعض الحاقدين والمتطرفين من دولة الدانمارك وهولاندا، وإنما بتغيير سياساتهم العدوانية تجاههم وبكف أذاهم عنهم. كما أننا يجب أن نفرق بين موقف حكومات العالم وشعوبه، حيث إن أغلب مشكلاتنا مع الغرب تنبع في الأساس من سوء السياسات التي تنتهجها حكوماتهم وقادتهم. كما أن للشعوب أيضاً دوراً لا يخفى في تأجيج الأزمة وتوتر العلاقات.

وأخيراً وبما أن النبي صلى الله عليه وسلم أُرسل رحمة للعالمين، فإنّ أهم ما ينبغي أن يتجلى في

حياتنا هو معاني الرحمة والشفقة والتسامح والرفق وإشاعة الخير ومحاولة تفهّم الآخرين والتفاعل معهم على نحو يساعدهم للاهتداء إلى النور المبين الذي نعيش فيه، كما قال تعالى: "يا أيها الناس قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين. يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم".

- أستاذ الدراسات الإسلامية - جامعة طيبة - المدينة المنورة

*رابط المقال : http://www.alwaqt.com/art.php?aid=111658

© 2006 - 2008 صحيفة الوقت، جميع الحقوق محفوظة.

www.alwaqt.com

الوقت

صحيفة الوقت البحرينية - يومية سياسية مستقلة

العدد 788 الجمعة 13 ربيع الثاني 1429 هـ - 18 أبريل 2008

»إشراقات«

ماليزيا.. أسوة حسنة في التعليم المنشود في العصر الحديث

د. خير الدين خوجة:

قال الله عزّوجلّ في محكم تنزيله: "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير"، (المجادلة:11 وقال تعالى: "وقل رب زدني علماً"، (طه:114)، وقال تعالى: " ففهمناها سليمان وكُلاً آتينا حكماً وعلماً"، (الأنبياء:79)، وقال تعالى: "وفي ذلك فليتنافس المتنافسون"، (المطففين:26). فنسأل الله عزّوجل أن يرزقنا العلم والفهم الصحيح لديننا ودنيانا، وأن يبصّرنا بعيوبنا وتقصيرنا في ديننا ودنيانا وأن يرزقنا العمل الصالح الرشيد وحسن الاستفادة من تجارب الآخرين في مجال التعليم، إنه تعالى سميع قريب مجيب.

ماليزيا، وما أدراك ما ماليزيا؟ بلد يقع في جنوب شرق آسيا، متعدّد الأديان والثقافات والحضارات والأعراق. قدّر الله عز جل لنا التعلم والتفقه في أمور ديننا ودنيانا في هذا البلد الطيب المبارك؛ ماليزيا، وأن نعيش فترة من الزمن غير قصيرة، بين هذا الشعب المسلم المتحضّر الذي جمع بين خيري الدنيا والآخرة، بين الأصالة والحداثة، بين مبادئ الدين الإسلامي الثابتة وأحكامها المرنة، وبين مستجدات الحياة المتطورة، فكانت بذلك أسوة حسنة

للإسلام والمسلمين في كافة مجالاتها ومستوياتها التعليمية والاقتصادية والصناعية. كانت ماليزيا تطمح نحو العلا والازدهار القومي، والوطني، والصناعي، والتكنولوجي، والاقتصادي والتربوي، وجاهدت لنيلها حق الجهاد حتى أتاها اليقين والتحرّر من قبضة المستعمر البريطاني. وبميلاد يوم الاستقلال القومي الوطني، عزمت ماليزيا على المضي قدماً في تجديد المنهج التعليمي المتوارث من الاستعمار البريطاني، حيث أن الأغلبية الساحقة في ماليزيا قبلت فكرة التجديد والإصلاح التربوي، كما أن كافة الأحزاب والأقطاب السياسية أيّدت هذا المشروع العظيم على أساس الوحدة القومية (العرقية) في مراحل التعليم المختلفة، وعلى أمل أن التعليم سيمهّد الطريق للتقدم والازدهار الاقتصادي والاجتماعي. وقد أُنيطت هذه المسؤولية على عاتق وزارة التربية والتعليم في ماليزيا، وأصبحت المسئولة الوحيدة عن غرس المبادئ التربوية الوطنية في قلوب الناشئين، منطلقين من الفكرة الوطنية عندهم المسماة بـ: Rukun Negara، أي طموحات ماليزيا نحو الوحدة والتقدم والازدهار والتطور.

مبادئ الـ Rukun Negara

وأما مبادئ هذه الفكرة الوطنية التعليمية الماليزية فإنها بُنيت على الدعائم والأسس الآتية: الإيمان بالله، الطاعة والولاء للمليك والوطن، التمسك بالدستور أو القانون، حكم القانون، والسلوك والخلق الحسن. وأما عن أهداف هذه الفكرة الوطنية المسماة بـ: Rukun Negara فيمكن تلخيصها في هذه الجوانب: إيجاد أمة موحّدة أو شعب موحّد في مجتمع متعدّد الأعراق والأديان، إيجاد مجتمع ديموقراطي من خلال البرلمان المنتخب قانونياً، إيجاد مجتمع عادل متساو في الحقوق، تطوير مجتمع ليبرالي حر، متعدد التقاليد والثقافات والحضارات، إيجاد مجتمع متطور متجه نحو العلم والتكنولوجيا.

المدارس الرائدة أو المثالية في ماليزيا

في بدايات العام 1996 شرعت وزارة التربية في ماليزيا في البحث عن إمكانية إحداث وإيجاد هذا النوع من المدارس في البلاد (البحث عن المبدأ والمضمون). وفي نهاية العام ذاته 1996 فإن فكرة المدارس المثالية أو الرائدة اتخذت مفهوماً أكبر وأوسع. وفي شهر يوليو/ تموز العام 1997م فإن فكرة المدارس المثالية أو الرائدة خطت خطوة أخرى نحو التقدم، حيث قُدّمت بحوث وآراء وكتابات من المختصين في التربية والمعنيين بهذا الشأن حول تطبيق هذه الفكرة، وإخراجها من حيّز النظرية إلى حيز التطبيق. وفي 28 تموز من عام 1999م، فإن شركة الاتصالات الماليزية الكبرى Telekom وقعت اتفاقية مع الدولة على إنجاز هذا المشروع وتطبيقها في (90) مدرسة ماليزية في مختلف أنحاء البلاد، والمشروع كان من المتوقع أن ينجز مع نهاية العام 2002م. هذه المدارس التسعون ستكون بمثابة نماذج مثالية على إعداد المقررات والمناهج الدراسية لبقية المدارس الرائدة التي ستفتتح فيما بعد. وبحلول العام 2010 فإن كافة المدارس الثانوية والابتدائية في ماليزيا البالغ عددها، 000,10 سترتفع إلى مستوى المدارس الرائدة.

وفي شهر يوليو من العام 2002 فإن المدرسة الرائدة الأولى التابعة لتلك الشركة الكبرى في ماليزيا وقعت على عقد تجاري مع الحكومة الماليزية رسمياً على السماح لها بالمتاجرة عالمياً بأفكار ومناهج ومبادئ هذه المدرسة الرائدة. أما أهداف هذه المدارس المثالية أو الرائدة فيمكن تلخيصها في هذه المجالات:

1 - التشجيع على تطوير كافة الجوانب الشخصية، سواء الجانب الفكري، أو الجسمي، أو العاطفي أو الروحي.

2 - منح فرصة للمواطنين، ذكوراً وإناثاً على تقوية وتطوير قدراتهم ومهاراتهم الخاصة.

3 - إيجاد قوة عاملة، مفكرة وعارفة بالتكنولوجيا الحديثة.

4 - منح حق التعلم للجميع دون استثناء.

5 - ضرورة مشاركة الأسرة والمجتمع في دفع عجلة عملية التعليم إلى الأمام.

أما فلسفة هذه المدرسة الرائدة أو المثالية فيمكن تلخيصها في إن المدرسة الرائدة تهدف إلى إعطاء تجربة حقيقية وفعّالة للتلميذ أو الطالب في حياته. فبدلاً من أن يحمل التلاميذ الماليزيون حقائب ثقيلة ومليئة بالكتب، فإنهم سيحملون معهم إلى فصولهم أجهزة الكومبيوتر (لاب توب)، وبناء على تصريحات وزير التربية والتعليم السابق (داتوك سري نجيب تون رزاق) فإن التلميذ سيكون بوسعه التوصل إلى المعلومات اللانهائية وغير المحدودة من خلال أجهزة (لاب توب)، وأن الاختبارات ستكون بواسطة تلك الأجهزة، والتلاميذ الذين يمرضون ولا يستطيعون الحضور إلى الفصول سيتابعون دروسهم من بيوتهم خارج جدران المدارس عن طريق تلك الأجهزة. ففكرة المدرسة الرائدة فكرة رحّب بها الجميع، وهو مشروع كبير سيُحدث تغييراً تعليمياً جذرياً في المستقبل، حيث سيتمكن التلاميذ من معرفة الإعلام التكنولوجي في كافة مجالات التعليم، المجال الإداري والفصلي..الخ.

فلسفة التعليم الماليزي

إن فلسفة التعليم في ماليزيا تنادي وتركّز على إيجاد وإعداد الجيل المنشود المتوازن الشامل والمتكامل في المجال الفكري والروحي والعاطفي والجسمي، والمتناسق في عصر ثورة المعلومات التكنولوجية والصناعية. هذه المدرسة الرائدة تطمح إلى رفع مستوى مشاركة أولياء الأمور حتى يقوموا هم أيضاً بدورهم وواجبهم نحو تطوير المهارات المطلوبة لدى أبنائهم. ففي

الفصول مثلاً ستكون هناك بجانب الكتب والأدوات المدرسية البرامجيات المختلفة على أقراص الليزر المصممة بكافة المعدات الهندسية..الخ. أما عن كيفية تنفيذ هذا البرنامج التعليمي الحديث فإنه يجب توفير حاسبات آلية مركزية فيها شبكة قاعدة البيانات والمعلومات والمستندات الخاصة عن كافة المعلمين والتلاميذ. هذه الحاسبات الآلية ستكون مشبوكة ومتصلة بمكتب الشؤون التربوية في وزارة التربية، ومن ثم سيكون بإمكان الطالب أن يتزوّد بالمقررات الدراسية وبالمعلومات المختلفة عن طريق الإنترنت. المعلمون أيضاً سيكون لهم إمكانية الوصول إلى المناهج والمقرات الدراسية ومستندات وملفات التلاميذ من مكاتبهم. كما أنه سيكون هناك منسّق خاص للقيام بإدارة كافة الوسائل الإعلامية والتكنولوجية المخصصة لهذه المدارس المثالية. إلى يومنا هذا فقد تم تدريب: (800,4) معلم وأستاذ للعمل في هذه المدارس الرائدة، كما أن المسؤولين والمنسقين في وزارة التربية سيقومون بمراقبة وتقويم هذه البرامجيات الحديثة في التعليم بين حين وآخر. والنتيجة المترقبة من هذا المشروع التعليمي الحديث ستكون كبيرة، من حيث إعداد وإيجاد جيل متمكن من معرفة طرق استعمال التكنولوجيا الحديثة.

ونظراً للغلاء الشديد لإعداد وإيجاد تلك المدارس المثالية بكافة معداتها ووسائلها، فإن الحكومة الماليزية طلبت وشجعت فكرة جمع تبرعات خاصة وعامة من المدارس الأخرى التي تريد أن تلتحق بركب تلك المدارس التسعين الرائدة والمختارة. كما أن الحكومة الماليزية شجّعت الشركات الكبيرة على التبرّع لأجل هذا الهدف. فمثلاً جمعية الاتحاد الصيني الماليزي قد خصّصت مبالغ هائلة وضخمة لتحقيق هذا المشروع التعليمي الكبير لـ: (114) مدرسة صينية التي تمتلكها في كافة أنحاء ماليزيا. وأيضاً فإن شركة الاتصالات الماليزية الكبيرة

(MIMOS) قد سلكت نفس المسلك لـ: (50) مدرسة ماليزية مختارة.

* أستاذ الدراسات الإسلامية- جامعة طيبة - المدينة المنورة

*رابط المقال : http://www.alwaqt.com/art.php?aid=109332

2006 © صحيفة الوقت، جميع الحقوق محفوظة.

www.alwaqt.com

مجلة المجتمع : المجتمع الثقافي
تاريخ: 2005/05/27
الكويت: د. خير الدين خوجة

نحو منهج قرآني في النقد

إن الالتزام بمبدأ التقييم المتوازن والموضوعي مطلب إسلامي سامٍ، دل عليه الكتاب والسنة وإجماع الأمة سلفاً وخلفًا، وهو يقتضي من الإنسان المسلم في معرض نقده وتقييمه ذكر وبيان المساوئ والمحاسن وذكر الجوانب الإيجابية والسلبية في القضايا الخاضعة للنقد والتقييم.

نسمع كثيراً في بعض المجالس العلمية كما أننا نقرأ في بعض الصحف اليومية انتقادات لا موضوعية وأحادية النظر، مقتصرة على ذكر المساوئ والعيوب فقط، تماماً كما قال الشاعر: (.. ولكن عين السخط تبدي المساويا).

هذه الانتقادات عادة توجه ضد بعض العلماء والمفكرين وبعض المسؤولين في الدوائر الحكومية والمؤسسات التعليمية، وهي ظاهرة منتشرة للأسف الشديد لافتة للنظر ومقلقة لحاضر الأمة ومستقبلها، ولا بد من وضع حد حاسم لها وعلاجها في ضوء القرآن والسنة، لأن صاحب هذا الحكم الجائر قد خالف السنة النبوية والحقيقة القرآنية، كما أنه ظلم الموضوعية العلمية.

إن قرآننا العظيم قد ضرب لنا أروع مثل وذكر لنا أقوم منهجٍ في بيان كيفية الحكم على الأشياء.

ذكر لنا القرآن الكريم سؤال المشركين للرسول { عن الخمر والميسر فقال تعالى: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾ (البقرة: 219) وليس هنالك شيء أخس منهما، ولكن ماذا كان موقف القرآن ورده تجاه هذا السؤال؟!

لقد أرشد القرآن نبيه أن يقول للسائلين إن فيهما إثماً كبيراً ومنافع للناس. إذن، فيهما الخير والشر، فيهما جوانب إيجابية كما أن فيهما جوانب سلبية، ولكن الحق أحق أن يُتّبع وأن يقال: إن ضررهما وسلبياتهما أكبر وأعظم من نفعهما وإيجابياتهما..هذا هو الحكم الموضوعي حول هذه المسألة..هذا هو المنهج العلمي المتزن والوسطي الذي يجب أن نسير عليه في حكمنا على المسائل والأشياء وعلى جهود الآخرين وأعمالهم، من حكام ومحكومين ورؤساء ومرؤوسين، وألا ننسفها نسفاً لمجرد عدم موافقة تلك الجهود لآرائنا وأفكارنا؛ إذ لا

يعقل أن تبلغ تلك الجهود والأعمال في الخسة والتفاهة إلا ما ندر درجة الخمر والميسر بحيث نحكم عليها بالرفض والبطلان، جملة وتفصيلاً..كل ذلك في سبيل الحفاظ على أمانة التوازن والوسطية والنقد المنهجي العلمي الموضوعي، حتى لا نكون من الظالمين، فهل نحن فاعلون؟!■

مجلة المجتمع : المجتمع الثقافي
تاريخ: 2008/03/22
د.خير الدين خوجة
أستاذ بجامعة طيبة المدينة المنورة

"ثقافة العولمة" وكيفية مواجهتها؟

يواجه العالم الإسلامي اليوم أخطاراً حقيقية على مستوى هويته الثقافية والحضارية، حيث تتهدّده العولمة في صميم وعيه الديني ومحتويات نموذجه الكوني. فمما لا شك فيه، أن المسلمين يمرون بحقبة تاريخية سوداء؛ فقد أصابهم وهن شديد، حيث تسبب ابتعادهم عن تعاليم الإسلام في حالة من التمزق والتفرق، والتخلف والجمود، والذل والهوان. كما أسهم الاستعمار بالتعاون مع الاستبداد في نهب وسرقة ثروات وممتلكات المسلمين، وأسرف في السجن والقتل والتشريد والمطاردة لإخضاع المسلمين . أضف إلى ذلك الهجوم الشرس على القرآن ونبي الإسلام من قبل وسائل الإعلام الغربية، والاستخفاف والسخرية بمقدسات الإسلام والمسلمين..الخ، أقول: أصبحت هذه الظواهر في عصر العولمة أو الجاهلية الراهنة، للأسف الشديد، إحدى أشهر سمات المسلمين والعالم الإسلامي في العصر الحديث.

ما سبل المحافظة على جوهر الهوية الإسلاميّة في ظلّ الاختراقات غير المحدودة للثقافات العولميّة ؟

العلاج الرباني:

يقول الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير (73)﴾ (الأنفال)، وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث ثوبان }، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكلة على قصعتها" قال: قلنا: يا رسول الله؛ أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: "أنتم يومئذ كثير، ولكنكم تكونون غثاء كغثاء السيل، تنزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن" قالوا: وما الوهن؟ قال: "حب الدنيا، وكراهية الموت". (رواه الإمام أحمد في مسنده: ج5، ص: 278).

وللعلماء والمفسرين في تفسير الآية السابقة، كلام جميل، نقتبس منه بعض الفقرات: "...

إن المنهج الحركي لهذا الدين يواجه الواقع دائماً بوسائل مكافئة.. ومن أجل أن الجاهلية لا تتمثل في "نظرية" مجردة، ولكن تتمثل في تجمع حركي على هذا النحو؛ فإن محاولة رد الناس إلى الله مرة أخرى، لا يجوز ولا يجدي شيئاً أن تتمثل في " نظرية " مجردة. فإنها حينئذ لا تكون مكافئة للجاهلية القائمة فعلاً والمتمثلة في تجمع حركي عضوي، فضلاً على أن تكون متفوقة عليها... وكما أن المجتمع المسلم مجتمع عضوي حركي متناسق متكافل متعاون يتجمع في ولاء واحد، فكذلك المجتمع الجاهلي: ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾.

إن الأمور بطبيعتها كذلك.. إن المجتمع الجاهلي لا يتحرك كأفراد؛ إنما يتحرك ككائن عضوي، بعضهم أولياء بعض طبعاً وحكماً؛ ومن ثم لا يملك الإسلام أن يواجههم إلا في صورة مجتمع آخر له ذات الخصائص. فأما إذا لم يواجههم بمجتمع ولاؤه بعضه لبعض فستقع الفتنة لأفراده من المجتمع الجاهلي. وهو أفسد الفساد: ﴿إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾ (انتهى كلام المفسرين).

حقيقة الجاهلية الحديثة وكيفية مواجهتها

إن كلمة العولمة مصطلح جديد. فهي نظام يراد به تكوين إمبراطورية تهيمن على باقي الشعوب، دون اعتبار للقيم والحضارات والثقافات والحدود الجغرافية والسياسية.

فالعولمة صيغة جديدة من صيغ المواجهة الحضارية يخوضها الغرب ضد هويات الشعوب وثقافات الأمم وحضارتهم، وعلى رأس تلك الأمم والشعوب: المسلمون، فهم المستهدفون بالدرجة الأولى في هذه المواجهة، وهذه الثقافة بهذا المفهوم تتعارض تعارضاً تاماً مع الإسلام، فضلاً عن قواعد القانون الدولي ومع طبيعة العلاقات الدولية ومع الاقتصاد الوطني والسيادة الوطنية، وأيضاً مع قانون التعددية الدينية والتنوع الثقافي والفكري. إن هذه الثقافة الغربية والأمريكية إذا سارت بهذا الاتجاه، فهي إنذار ومؤشر بانهيار وشيك للاستقرار العالمي عامة، والعالم الإسلامي على وجه الخصوص.

العولمة والعالمية

هناك فرق شاسع بين مفهوم العالمية والكونيةUniversalism ، والتي تعني طموحاً نحو الارتقاء والازدهار والتقدم والنهضة بالخصوصية إلى مستوى عالمي، وقبول وأخذ كل ما هو طيب وحلال وعالمي وكوني، وبين العولمة Globalization ، والتي تعني القمع والإقصاء والسلب لكل ما هو خصوصي. إذن فالعالمية Universalism تعني الانفتاح على الآخر ورغبة في الأخذ والعطاء، وهذا هو المطلوب، ولكن بشروط وضوابط، بينما العولمةGlobalization

تعني اختراق وسلب وتدمير لخصوصية الآخر. والإسلام الذي أمرنا بالانفتاح والاستفادة من الآخر، ما لم يتعارض ذلك مع القرآن والسنة، يتفق مع العالمية بمقدار ما يختلف مع العولمة التي تسعى إلى فرض نموذجها الحضاري الذي لا يخفي تطلعه إلى الهيمنة على اقتصاد العالم، والتحكم في القرار السياسي وصناعته لخدمة المصالح الأمريكية والأوروبية، وإلغاء النسيج الحضاري والاجتماعي، وتدمير الهويات الدينية والثقافات القومية والفكرية والحضارية للشعوب، وزيادة الدول الغنية غنى ونهضة وتطوراً، بينما تزداد الدول الفقيرة فقراً وبؤساً وتخلفاً. كما أن من أهدافها القيام بتفتيت بعض الدول والكيانات والحضارات والمؤسسات الثقافية والدينية، وفرض السيطرة السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية بقصد استغلال الدول ونهب خيراتها. وإذا علمنا أن الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا قد أدركت حقيقة تطلع المسلمين إلى الصحوة والنهضة لإيجاد كيان دولي يحفظ حقوقهم وكرامتهم وأموالهم، فإنها قد أعدت العدة للقضاء على الإسلام والمسلمين بشتى الطرق والوسائل، ابتداء بالغزو العسكري وانتهاء بالغزو الفكري والغزو الثقافي، وجهزت حملة ضارية ضد الإسلام ومصالح المسلمين، تحت عناوين مضللة وشعارات زائفة منها:

أ الديمقراطية.

ب والتعددية السياسية.

ج حقوق الإنسان (ويراد منها حقوق الإنسان الغربي فقط).

د سياسات السوق العالمية والتحكم فيه.

الخيارالبديل

للاعتبارات السابقة واعتبارات أخرى غيرها نود أن نطرح الخيار البديل، باختصار شديد نقول: البديل هو الإسلام، الذي آمنا بصحته وفاعليته، والذي يحرم على المسلم استبدال الأدنى بالذي هو خير، كما قال تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ■153﴾(الأنعام).

لذلك يتحتم علينا اعتبار العولمة آخر صيغة للاستعمار الحديث، والعودة بالناس إلى العبودية، وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً. وفيما يلي بعض الخطوات والسبل للحفاظ على الهوية الإسلامية ومنعها من الذوبان والانصهار في أحضان ثقافة العولمة المدمرة.

1 -محاربة الجهل المُطْبَق بالإسلام.

2- ملء الفراغ الروحي والفكري والثقافي لدى المسلمين.

3 -محاربة الإسلاموفوبيا وهو النفور والتخوف من الإسلام وكراهية مبادئه.

4 -عدم الاستسلام للفلسفات والثقافات الغربية؛ بل نختار منها ما وافق ديننا، وبقدر حاجتنا.

5 -المحافظة على المجتمع من الإصابة بالعقد والأمراض النفسية الغربية، كالقلق والإحباط والشعور بالعدمية والعبثية والأنانية والذاتية.

6 -عدم ممارسة الحياة على الطريقة الغربية بشرورها ومفاسدها وانحرافاتها ورذائلها، وحلوها ومرها، وعدم تقليدهم في الجانب السلبي؛ وإنما علينا التركيز على الجانب الإيجابي فقط. كل ما هو طيب وحلال ومفيد قبلناه؛ إذ الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها، وكل ما هو ضار وخبيث رفضناه.

7 -الاعتزاز بتاريخنا المشرق، وسير علمائنا المصلحين، وعدم فقدان الهوية الذاتية.

8 -السعي إلى تحسين صورة مجتمعات المسلمين المشوهة، ونشر جمال الإسلام وعظمته.

9 -معرفة منهج الإسلام في التغيير الثقافي الإيجابي، من الأسوأ إلى الأفضل.

10- توثيق الصلة بالله وتحقيق العبودية. وصدق الإخلاص له.

11 -الانطلاق من القرآن والسنة في الفهم والعلم والتدبر والتفكير.

12- نقض الأفكار والمبادئ والنظريات الجاهلية الباطلة، وبيان زيفها وخطئها، واستخدام المنطق العلمي لدحض شبهاتهم وأباطيلهم.

13- دعوة الناس إلى التخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل.

14 -تكوين المجتمع الإسلامي الذي ينشأ المسلمون في رحابه، ويعيشون قيمه وسلوكياته.

15- إصلاح مناهج التعليم ووسائل الإعلام والتوجيه، وتحريرها من المسلسلات والأفلام الهابطة التي تهدم ولا تبني.

16 -تحصين أبناء المسلمين أمام الغزو الفكري المعادي، وتمكينهم من الوقوف أمام الثقافات الهدامة.

17- لا بد لكل فرد في الأمة أن يقوم بدور إيجابي في الحفاظ على الهوية الإسلامية، فلا يكفي جهد الحاكم وحده، ولا جهد الأب والمدرس فقط، وإنما يقوم به كل مسلم على حدة، مهما كان موقعه ويتحمل هو أيضاً جزءاً من المسؤولية.■

مجلة المجتمع : اقرأ داخل العدد

تاريخ: 2008/01/05

د. خيرالدين خوجة

المجتمع التربوي

البعد التربوي في فكر الإمام النووي يرحمه الله
(3-1)

د. خيرالدين خوجة

كتاب التبيان

لقد اهتم أئمتنا من السلف الصالح رضوان الله عليهم بشأن القرآن الكريم، حفظاً وتعليماً وتفسيراً، كما أنهم اهتموا بذكر آداب طلبة العلم وحاملي القرآن اهتماماً كبيراً، فصنفوا في ذلك المصنفات، نذكر منهم على سبيل المثال: الإمام العلامة أبو بكر محمد بن الحسين الآجُرّي المتوفى سنة 360 هـ، فقد ألف كتاباً بعنوان: "أخلاق حملة القرآن"، والإمام العلامة أبو زكريا بن شرف النووي المتوفى سنة 676 هـ أيضاً ألف كتاباً سماه: "التبيان في آداب حملة القرآن"، والذي هو موضوع دراستنا، وغير هؤلاء كثيرون لا يسمح المقام بسرد أسمائهم.

ولقد استوقفني هذا الكتاب العظيم للإمام النووي كثيراً، وكان له الأثر البالغ في نفسي وفي تكوين فكري الشخصي.

ولقد ساعد على نبوغ الإمام النووي في مجال التربية والتعليم، صحبته الطويلة للقرآن الكريم، يتضح ذلك بجلاء ووضوح لكل من طالع كتابه بإنعام وتدبر. وحول تأثير القرآن الكريم في فكر ونفوس قارئيه، يقول الشهيد سيد قطب: "لقد كان هذا الكتاب مصدر المعرفة والتربية والتوجيه والتكوين الوحيد لجيل من البشر فريد.. جيل لم يتكرر بعد في تاريخ البشرية، لا من قبل ولا من بعد، جيل الصحابة الكرام الذين أحدثوا في تاريخ البشرية ذلك الحدث الهائل العميق الممتد، الذي لم يُدرَس حق دراسته حتى الآن".

ولقد كان فضل الله علينا عظيماً إذ اختارنا لحمل رسالته إلى الناس وتربية الأجيال في هذه البقعة المباركة، مدينة المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، فقد كان لزاماً علينا أن نُجلي بعض الحقائق والمعالم التربوية من تجربة ذلك الإمام الجليل من خلال هذا الكتاب.

ضوابط تربوية

إن الآداب والمعالم التربوية المذكورة في ذلك الكتاب، وإن كانت قد وضعت في الأصل للمعلمين والمتعلمين في مجال حفظ القرآن الكريم وتدريسه، إلا أنها يمكن أن تكون عامة وصالحة لكل العلوم والتخصصات ولكل المعلمين والمتعلمين. والعبرة هنا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.
إن كثيراً من المعلمين وإن كانوا يحملون ألقاباً أكاديمية عليا، إلا أنهم في أعمالهم ووظائفهم التربوية، بعيدون كل البعد عن مراعاة تلك المثل والضوابط والمعالم الإنسانية، التربوية والدينية، والتي أشار إليها الإمام النووي في كتابه المذكور. فترى منهم العابس والمقطِّب جبينه، والضارب والمعنِّف، والشاتم والحاسد لتلاميذه وطلابه! وما كثرة الشكاوى الواردة من أولياء الأمور إلى المسؤولين في وزارة التربية والتعليم في حق هؤلاء المربين عنا ببعيد.
وإن الكتاب الذي بين أيدينا سيكون بإذن الله تعالى نبراساً يضيء لنا الطريق لمن أراد أن يذّكّر أو أراد شكوراً.

رضا الله تعالى

لنعش مع بعض فقرات هذا الكتاب القيم. قال الإمام النووي رحمه الله:
آداب معلم القرآن: أول ما ينبغي للمقرئ والقارئ أن يقصدا بذلك رضا الله تعالى.. عن الفضيل بن عياض قال: ترك العمل لأجل الناس رياء، والعمل لأجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله منهما.. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من تعلم علماً يبتغي به وجه الله تعالى لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضاً من الدنيا لم يجد عَرْف الجنة يوم القيامة...". ثم تحدث الإمام النووي عن إخلاص المعلم للمتعلم، مبيناً بعض الهفوات التي يقع فيها كثير من المعلمين والأساتذة أو الشيوخ، ونحن نقتبس فقرات من كلامه.

هفوات المعلمين

"إخلاص المعلم": وليحذر كل الحذر من قصده التكثر بكثرة المشتغلين عليه والمختلفين إليه، وليحذر من كراهته قراءة أصحابه على غيره ممن ينتفع به، وهذه مصيبة يبتلى بها بعض المعلمين الجاهلين، وهي دلالة بينة من صاحبها على سوء نيته وفساد طويته، بل هي حجة قاطعة على عدم إرادته بتعليمه وجه الله تعالى الكريم، فإنه لو أراد الله بتعليمه، لما كره ذلك..
عن علي بن أبي طالب } أنه قال: يا حملة القرآن، أو قال: يا حملة العلم اعملوا به، فإنما العلم من عمل بما علم ووافق علمُه عملَه، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، يخالف عملُهُم علمَهم وتخالف سريرتُهم علانيتَهم يجلسون حلقاً يباهي بعضهم بعضاً، حتى أن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره... أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك

إلى الله تعالى.

ويستحب للمعلم أن يكون حريصاً على تعليمهم، مؤثراً ذلك على مصالح نفسه الدنيوية التي ليست بضرورية، وأن يُفرِغَ قلبَه في حال جلوسه لإقرائهم من الأسباب الشاغلة كلها، وهي كثيرة معروفة، وأن يكون حريصاً على تفهيمهم، وأن يعطي كلَّ إنسان منهم ما يليق به، فلا يكثر على من لا يحتمل الإكثار، ولا يقصر لمن يحتمل الزيادة، ويأخذهم بإعادة محفوظاتهم، ويثني على من ظهرت نجابته ما لم يَخشَ عليه فتنة بإعجاب.. ومن قصّر، عنّفه تعنيفاً لطيفاً فيما لم يخش عليه تنفيره، ولا يحسد أحداً منهم لبراعة تظهر منه.. فإن الحسد للأجانب حرام شديد التحريم، فكيف للمتعلم الذي هو بمنزلة الولد! ويعود من فضيلته إلى معلمه في الآخرة الثواب الجزيل، وفي الدنيا الثناء الجميل.

وينبغي أن يظهر لهم البِشْر وطلاقة الوجه ويتفقد أحوالهم ويسأل عمن غاب منهم. قال العلماء رضي الله عنهم: ولا يمتنع من تعليم أحد لكونه غير صحيح النية... فقد قالوا: طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله".

حديثنا لا يزال عن أخلاق وصفات المعلم المثالي، وفي المقال القادم بإذن الله تعالى سنرى ماذا قال الإمام النووي عن الطريقة التي يجب على المعلم اتباعها مع المتعلمين في أثناء التدريس، كما أنه سيتطرق إلى بيان أهمية الأسوة الحسنة لدى المعلم، وهو يمارس عملية التربية والتعليم.■

رابط المقال على الانترنت:

http://www.almujtamaa-mag.com/Detail.asp?InNewsItemID=255015

مجلة المجتمع : المجتمع التربوي

تاريخ: 2008/01/12

الرياض: د. خير الدين خوجة

المجتمع التربوي

البعد التربوي في فكر الإمام النووي يرحمه الله
(2 من 3)

المدينة المنورة: د. خير الدين خوجة

وقفنا في العدد الماضي على جملة من الآداب والقيم والمعالم التربوية التي يجب على المعلم التحلي بها وهو يمارس عمله التربوي مع الأجيال.
وفي هذه الحلقة نستكمل حديثنا عن آداب المعلم وبعض الأخلاق الكريمة التي يجب أن تتمثل في شخصيته، والطريقة التي يجب اتباعها مع تلاميذه في أثناء عملية التعليم والتربية، كما أننا سنعرج على ذكر بعض الآداب التي يجب على المتعلم أيضاً التقيد والالتزام بها.

قال الإمام النووي يرحمه الله: "... مكارم الأخلاق: وينبغي للمعلم أن يتخلق بالمحاسن التي ورد الشرع بها، والخصال الحميدة والشيم المرضية التي أرشده الله إليها، من الزهادة في الدنيا والتقلل منها... والسخاء والجود ومكارم الأخلاق وطلاقة الوجه، من غير خروج إلى حد الخلاعة، والحلم والصبر والتنزّه عن دنيء المكاسب، وملازمة الورع، والخشوع، والسكينة، والوقار، والتواضع، والخضوع، واجتناب الضحك أوالإكثار من المزاح، وملازمة الوظائف الشرعية كالتنظيف والتقليم.. كقص الشارب وتقليم الظفر وتسريح اللحية وإزالة الروائح الكريهة والملابس المكروهة.
وليحذر كل الحذر من الحسد، والرياء، والعجب، واحتقار غيره وإن كان دونه... وأن يراقب الله تعالى في سره وعلانيته ويحافظ على ذلك، وأن يكون تعويله في جميع أموره على الله تعالى..
وينبغي له أن يرفق بمن يقرأ عليه وأن يرحب به ويحسن إليه بحسب حاله.. لحديث النبي

صلى الله عليه وسلم قال: "إن الناس لكم تبع، وإن رجالاً يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون في الدين، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً".. وينبغي أن يبذل لهم النصيحة.. ومن النصيحة لله تعالى ولكتابه إكرام قارئه وطالبه، وإرشاده إلى مصلحته والرفق به، ومساعدته على طلبه بما أمكن، وتأليف قلب الطالب.

وأن يكون سمحاً بتعليمه في رفق، متلطفاً به، ومحرضاً له على التعلم. وينبغي أن يذكره بفضيلة ذلك ليكون سبباً في نشاطه وزيادة في رغبته.. ويذكره فضيلة الاشتغال بالقرآن وسائر العلوم الشرعية، وهو طريق العارفين وعباد الله الصالحين، وأن ذلك رتبة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.. وينبغي أن يشفق على الطالب ويعتني بمصالحه كاعتنائه بمصالح ولده ومصالح نفسه، ويُجري المتعلم مجرى ولده في الشفقة عليه والصبر على جفائه وسوء أدبه، ويعذره في قلة أدبه في بعض الأحيان، فإن الإنسان معرض للنقائص.

وينبغي أن يحب له ما يحب لنفسه من الخير، وأن يكره له ما يكره لنفسه من النقص مطلقاً.. وينبغي ألا يتعاظم على المتعلمين، بل يلين لهم ويتواضع معهم، فقد جاء في التواضع لآحاد الناس أشياء كثيرة معروفة، فكيف بهؤلاء الذين هم بمنزلة أولاده مع ما هم عليه من الاشتغال بالقرآن مع ما لهم عليه من حق الصحبة وترددهم إليه. وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه...".

ثم إن الإمام النووي لفت أنظارنا إلى مسألة مهمة في التعليم، ألا وهي مسألة التدرج، فقال رحمه الله: "... تأليف المتعلم: وينبغي أن يؤدَّب المتعلم على التدريج بالآداب السَّنية، والشيم المرضية، ورياضة نفسه بالدقائق الخفية، ويعوّده الصيانة في جميع أموره، الباطنة والجلية، ويحرضه بأقواله وأفعاله المتكررات على الإخلاص، والصدق، وحسن النيات، ومراقبة الله تعالى في جميع اللحظات، ويعرفه أن لذلك تتفتح عليه أنوار المعارف، وينشرح صدره، ويتفجر من قلبه ينابيع الحكم واللطائف، ويبارك له في علمه وحاله، ويوفق في أفعاله وأقواله...

ومن آدابه المتأكدة وما يعتنى به: أن يصون يديه في حال الإقراء عن العبث، وعينيه عن تفريق نظرهما من غير حاجة، ويقعد على طهارة مستقبلاً القبلة، ويجلس بوقار، وتكون ثيابه بيضاً نظيفة... ويجلس متربعاً إن شاء أو غير متربع... وعن عبدالله بن مسعود } كان يقرئ الناس في المسجد جاثياً على ركبتيه... وينبغي أن يكون مجلسه واسعاً ليتمكن جلساؤه فيه. ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : "خير المجالس أوسعها"... ومن أهم ما يؤمر به أن يحذر كل الحذر من اتخاذ القرآن معيشة يكتسب بها. فقد جاء عن عبدالرحمن بن شبيل } قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اقرؤوا القرآن ولا تأكلوا به ولا تجفوا عنه ولا تغلوا فيه"...

وأما أخذ الأجرة على تعليم القرآن؛ فقد اختلف العلماء فيه. فحكى الإمام أبوسليمان الخطابي منع أخذ الأجرة عليه من جماعة من العلماء، منهم الزهري وأبوحنيفة. وعن جماعة؛

أنه يجوز إن لم يشترطه، وهو قول الحسن البصري والشعبي وابن سيرين. وذهب عطاء ومالك والشافعي وآخرون إلى جوازها إن شارطه واستأجره إجارة صحيحة...".

بنهاية المقال الثاني نكون قد انتهينا من بيان كلام الإمام النووي عن آداب المعلم. وفي الحلقة القادمة بإذن الله تعالى سنرى ماذا قال الإمام النووي عن الآداب التي يجب على المتعلم اتباعها والالتزام بها وهو يطلب العلم.■

رابط المقال على الانترنت:

http://www.almujtamaa-mag.com/Detail.asp?InNewsItemID=255629

مجلة المجتمع : المجتمع التربوي

تاريخ: 2008/01/19

د. خيرالدين خوجة

أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد

المجتمع التربوي

البعد التربوي في فكر الإمام النووي يرحمه الله
(3 من 3)

آداب متعلم القرآن

د. خيرالدين خوجة

أستاذ الدراسات الإسلامية المساعد

القرآن الكريم

وقفنا في العدد الماضي على جملة من الآداب والقيم والمعالم التربوية التي يجب على معلم القرآن التحلي بها. وفي هذه الحلقة سنكمل حديثنا عن آداب المتعلم والأخلاق الكريمة التي يجب أن تتمثل في شخصيته وهو يطلب العلم.

قال الإمام النووي يرحمه الله: "... جميع ما ذكرناه من آداب المعلم في نفسه آداب للمتعلم، ومن آدابه أن يجتنب الأسباب الشاغلة عن التحصيل إلا سبباً لابد منه للحاجة.

وينبغي أن يطهر قلبه من الأدناس ليصلح لقبول القرآن وحفظه واستثماره. فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب". وقد أحسن القائل بقوله: يطيّب القلب للعلم كما تطيب الأرض للزراعة.

التواضع للمعلم

وينبغي أن يتواضع لمعلمه ويتأدب معه، وإن كان أصغر منه سناً وأقل شهرة ونسباً وصلاحاً وغير ذلك. ويتواضع للعلم فبتواضعه يدركه... وينبغي أن ينقاد لمعلمه ويشاوره في أموره ويقبل قوله، كالمريض العاقل؛ يقبل قول الطبيب الناصح الحاذق... ولا يتعلم إلا ممن تكملت أهليته، وظهرت ديانته، وتحققت معرفته، واشتهرت صيانته، فقد قال السلف: هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم.

وعليه أن ينظر إلى معلمه بعين الاحترام، ويعتقد كمال أهليته ورجحانه على طبقته، فإنه أقرب إلى انتفاعه به. وكان بعض المتقدمين إذا ذهب إلى معلمه تصدق بشيء، وقال: اللهم استر عيب معلمي عني، ولا تذهب بركة علمه مني.

تحية مخصوصة: وقال الربيع صاحب الشافعي يرحمهما الله: ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إليّ هيبة له. وروينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب } قال: من حق المعلم عليك أن تسلم على الناس عامة وتخصه دونهم بتحية، وأن تجلس أمامه ولا تشيرنّ عنده بيدك، ولا تغمزنّ بعينيك، ولا تقولنّ: قال فلان خلاف ما تقول، ولا تغتابنّ عنده أحداً ولا تشاور جليسك في مجلسه، ولا تأخذ بثوبه إذا قام، ولا تلح عليه إذا كسل، ولا تشبع من طول صحبته. وينبغي أن يتأدب بهذه الخصال التي أرشد إليها علي كرم الله وجهه، وأن يرد غيبة شيخه إن قدر، فإن تعذر عليه ردها، فارق ذلك المجلس...

ويدخل أي المتعلم على الشيخ كامل الخصال متصفاً بما ذكرناه في المعلم، متطهراً مستعملاً للسواك، فارغ القلب من الأمور الشاغلة، وأن لا يدخل بغير استئذان إذا كان الشيخ في مكان يحتاج فيه إلى استئذان، وأن يسلم على الحاضرين إذا دخل ويخصه دونهم بالتحية، وأن يسلم عليه وعليهم إذا انصرف...

ولا يتخطى رقاب الناس، بل يجلس حيث ينتهي به المجلس إلا أن يأذن له الشيخ في التقدم أو يعلم من حالهم إيثار ذلك، ولا يقيم أحداً من موضعه، فإن آثره غيره لم يقبل، اقتداءً بابن عمر رضي الله عنهما، إلا أن يكون في تقديمه مصلحة للحاضرين أو أمره الشيخ بذلك، ولا يجلس في وسط الحلقة إلا لضرورة، ولا يجلس بين صاحبين بغير إذنهما، وإن فسحا له قعد وضم نفسه...

وينبغي أيضاً أن يتأدب مع رفقته وحاضري مجلس الشيخ، فإن ذلك تأدبٌ مع الشيخ وصيانة لمجلسه، ويقعد بين يدي الشيخ قعدة المتعلمين لا قعدة المعلمين، ولا يرفع صوته رفعاً بليغاً من غير حاجة، ولا يضحك، ولا يكثر الكلام من غير حاجة، ولا يعبث بيده ولا بغيرها ولا يلتفت يميناً ولا شمالاً من غير حاجة، بل يكون متوجهاً إلى الشيخ مصغياً إلى كلامه...

اغتنام الأوقات

ومما يتأكد الاعتناء به ألا يقرأ على الشيخ في حال شغل قلب الشيخ وملله... وأن يغتنم أوقات نشاطه. ومن آدابه أن يتحمل جفوة الشيخ وسوء خلقه، ولا يصده ذلك عن ملازمته واعتقاد كماله، ويتأوّل لأفعاله وأقواله التي ظاهرها الفسادُ، تأويلاتٍ صحيحة... وإن جفاه الشيخ ابتدأ هو بالاعتذار إلى الشيخ، وأظهر أن الذنب له والعتب عليه فذلك أنفع له في الدنيا والآخرة وأنقى لقلب الشيخ. وقد قالوا: من لم يصبر على ذل التعليم بقي عمره في عماية الجهالة. ومن صبر عليه آل أمرُه إلى عز الآخرة والدنيا، ومنه الأثر المشهور عن ابن عباس رضي الله عنهما: ذللت طالباً فعززت مطلوباً. وقد أحسن من قال: من لم يذق طعم المذلة ساعة قطع الزمان بأسره مذلولاً.

ومن آداب المتعلم المتأكدة أن يكون حريصاً على التعلم مواظباً عليه في جميع الأوقات التي يتمكن منه فيها، ولا يقنع بالقليل مع تمكنه من الكثير، ولا يحمل نفسه ما لا يطيق مخافة من الملل وضياع ما حصل. وهذا يختلف باختلاف الناس والأحوال. وإذا جاء إلى مجلس الشيخ فلم يجده انتظر ولازم بابه... وإذا وجد الشيخ نائماً أو مشتغلاً بمهم، لم يستأذن عليه، بل يصبر إلى استيقاظه أو فراغه أو ينصرف. والصبر أولى كما كان ابن عباس رضي الله عنهما وغيره يفعلون.

وينبغي أن يأخذ نفسه بالاجتهاد في التحصيل في وقت الفراغ والنشاط وقوة البدن ونباهة الخاطر وقلة الشاغلات، قبل عوارض البطالة وارتفاع المنزلة. فقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب }: تفقهوا قبل أن تسودوا. معناه اجتهدوا في كمال أهليتكم وأنتم أتباع، قبل أن تصيروا سادة، فإنكم إذا صرتم سادة متبوعين، امتنعتم من التعلم لارتفاع منزلتكم وكثرة شغلكم. وهذا معنى قول الإمام الشافعي رحمه الله تفقه قبل أن ترأس، فإذا رأست فلا سبيل إلى التفقه.

إيثار مكروه

وينبغي أن يبكر بقراءته على الشيخ أول النهار... وينبغي ألا يؤثر بنَوْبَتِه غيره، فإن الإيثار مكروه في القرب أي القربات بخلاف الإيثار بحظوظ النفس فإنه محبوب. فإن رأى الشيخ المصلحة في الإيثار في بعض الأوقات لمعنى شرعي فأشار عليه بذلك، امتثل أمره. ومما يجب عليه ويتأكد الوصية به ألا يحسد أحداً من رفقته أو غيرهم على فضيلة رزقه الله إياها، وألا يعجب بنفسه بما خصه الله.. وطريقه في نفي العجب: أن يذكِّر نفسه أنه لم يحصّل ما حصّله بحوله وقوته، وإنما هو فضل من الله.. وطريقه في نفي الحسد: أن يعلم أن حكمة الله تعالى اقتضت جعل

هذه الفضيلة في هذا، فينبغي ألا يعترض عليها.

ومن آدابه أن يكون على أكمل الأحوال وأكرم الشمائل، وأن يرفع نفسه عن كل ما نهى القرآن عنه إجلالاً للقرآن، وأن يكون مصوناً عن دنيء الاكتساب، شريف النفس، مرتفعاً على الجبابرة والجفاة من أهل الدنيا، متواضعاً للصالحين وأهل الخير والمساكين، وأن يكون متخشعاً ذا سكينة ووقار...

عن عبد الله بن مسعود } قال: ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون.. وعن الفضيل بن عياض، قال: ينبغي لحامل القرآن ألا تكون له حاجة إلى أحد من الخلفاء فمن دونهم. وعنه أيضاً قال: حامل القرآن حامل راية الإسلام، لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو، تعظيماً لحق القرآن...".

فرضي الله عن إمامنا النووي يرحمه الله وجزاه عنا وعن الإسلام خير الجزاء وجعلنا الله من أمثاله، إنه سميع قريب مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.■

رابط المقال على الانترنت :

http://www.almujtamaa-mag.com/Detail.asp?InNewsItemID=256124

صحيفة رسالة طيبة

جامعة طيبة بالمدينة المنورة

2005/7/1

درس التقوى المستفاد من صيام رمضان

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين، سيدنا و نبينا محمد و على آله و أصحابه الطيبين الطاهرين و من اقتفى أثرهم و سلك نهجهم إلى يوم الدين.

يقول الله عزوجل في محكم تنزيله : (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (185). البقرة

و روى الإمام البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ وَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ(- (ج 6 / ص 470)، رقم الحديث: 1769

يقول بعض المفسرين المعاصرين في تفسير آية الصيام السابقة:

" إن الله - سبحانه - يعلم أن التكليف أمر تحتاج النفس البشرية فيه إلى عون ودفع واستجاشة لتنهض به وتستجيب له؛ مهما يكن فيه من حكمة ونفع ، حتى تقتنع به وتراض عليه .

ومن ثم يبدأ التكليف بذلك النداء الحبيب إلى المؤمنين ، المذكر لهم بحقيقتهم الأصيلة؛ ثم يقرر لهم - بعد ندائهم ذلك النداء - أن الصوم فريضة قديمة على المؤمنين بالله في كل دين ، وأن الغاية الأولى هي إعداد قلوبهم للتقوى والشفافية والحساسية والخشية من الله :(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون } . .

وهكذا تبرز الغاية الكبيرة من الصوم . . إنها التقوى . . فالتقوى هي التي تستيقظ في القلوب وهي تؤدي هذه الفريضة ، طاعة لله ، وإيثاراً لرضاه . والتقوى هي التي تحرس هذه القلوب من إفساد الصوم بالمعصية ، ولو تلك التي تهجس في البال ، والمخاطبون بهذا القرآن يعلمون مقام التقوى عند الله ، ووزنها في ميزانه . فهي غاية تتطلع إليها أرواحهم . وهذا الصوم أداة من أدواتها ، وطريق موصل إليها . ومن ثم يرفعها السياق أمام عيونهم هدفاً وضيئاً يتجهون إليه عن طريق الصيام . . { لعلكم تتقون } . .

ثم يثني بتقرير أن الصوم أيام معدودات ، فليس فريضة العمر وتكليف الدهر. ومع هذا فقد أعفي من أدائه المرضى حتى يصحوا ، والمسافرون حتى يقيموا ، تحقيقاً وتيسيراً :{ أياماً معدودات . فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر} . في ظلال القرآن - (ج 1 / ص 141)

وظاهر النص في المرض والسفر يطلق ولا يحدد . فأي مرض وأي سفر يسوغ الفطر ، على أن يقضي المريض حين يصح والمسافر حين يقيم . وهذا هو الأولى في فهم هذا النص القرآني

المطلق ، والأقرب إلى المفهوم الإسلامي في رفع الحرج ومنع الضرر . فليست شدة المرض ولا مشقة السفر هي التي يتعلق بها الحكم إنما هي المرض والسفر إطلاقاً ، لإرادة اليسر بالناس لا العسر . ونحن لا ندري حكمة الله كلها في تعليقه بمطلق المرض ومطلق السفر؛ فقد تكون هناك اعتبارات أخرى يعلمها الله ويجهلها البشر في المرض والسفر؛ وقد تكون هناك مشقات أخرى لا تظهر للحظتها ، أو لا تظهر للتقدير البشري . . وما دام الله لم يكشف عن علة الحكم فنحن لا نتأولها؛ ولكن نطيع النصوص ولو خفيت علينا حكمتها . فوراءها قطعاً حكمة . وليس من الضروري أن نكون نحن ندركها .

يبقى أن القول بهذا يخشى أن يحمل المترخصين على شدة الترخص ، وأن تهمل العبادات المفروضة لأدنى سبب . مما جعل الفقهاء يتشددون ويشترطون . ولكن هذا - في اعتقادي - لا يبرر التقييد فيما أطلقه النص . فالدين لا يقود الناس بالسلاسل إلى الطاعات ، إنما يقودهم بالتقوى . وغاية هذه العبادة خاصة هي التقوى . والذي يفلت من أداء الفريضة تحت ستار الرخصة لا خير فيه منذ البدء ، لأن الغاية الأولى من أداء الفريضة لا تتحقق . وهذا الدين دين الله لا دين الناس . والله أعلم بتكامل هذا الدين ، بين مواضع الترخص ومواضع التشدد؛ وقد يكون وراء الرخصة في موضع من المصلحة ما لا يتحقق بدونها . بل لا بد أن يكون الأمر كذلك . ومن ثم أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يأخذ المسلمون برخص الله التي رخصها لهم . وإذا حدث أن فسد الناس في جيل من الأجيال فإن إصلاحهم لا يتأتى من طريق التشدد في الأحكام؛ ولكن يتأتى من طريق إصلاح تربيتهم وقلوبهم واستحياء شعور التقوى في أرواحهم . وإذا صح التشدد في أحكام المعاملات عند فساد الناس كعلاج رادع ، وسد للذرائع ، فإن الأمر في الشعائر التعبدية يختلف ، إذ هي حساب بين العبد والرب ، لا تتعلق به مصالح

العباد تعلقاً مباشراً كأحكام المعاملات التي يراعى فيها الظاهر. والظاهر في العبادات لا يجدي ما لم يقم على تقوى القلوب . وإذا وجدت التقوى لم يتفلت متفلت ، ولم يستخدم الرخصة إلا حيث يرتضيها قلبه ، ويراها هي الأولى ، ويحس أن طاعة الله في أن يأخذ بها في الحالة التي يواجهها ، أما تشديد الأحكام جملة في العبادات أو الميل إلى التضييق من إطلاق الرخص التي أطلقتها النصوص ، فقد ينشيء حرجاً لبعض المتحرجين . في الوقت الذي لا يجدي كثيراً في تقويم المتفلتين . . والأولى على كل حال أن نأخذ الأمور بالصورة التي أرادها الله في هذا الدين .

نحو مشروع أسلمة العلوم الاجتماعية - رؤية حضارية

2-1

الدكتور: خير الدين خوجة،

أستاذ الدراسات القرآنية المساعد

كلية المجتمع-جامعة طيبة

يقول الله تبارك و تعالى في محكم تنزيله: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (يوسف:108) . ذكر عدد كبير من المفسرين في معنى قوله تعالى: (على بصيرة)، أي على علم و هدى ، و بينة و حقيقة و معرفة من الله عز وجل..نقول و بالله التوفيق:

إنه مما لا يتنازع عليه اثنان أن الأمة الإسلامية تعيش في حالة من التمزق و الاختلاف مما يدني الجبين و يرثى لها، و وا أسفاه على هذه الحالة..حيث التخلف الاقتصادي و السياسي و الاجتماعي و الفكري. و ما ذلك إلا بسبب هجر المسلمين لتعاليم القرآن الكريم و تعاليم السنة النبوية المطهرة. ولا شك أن هذا جزاء من جنس العمل، وصدق الله العظيم إذ يقول في محكم تنزيله: (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً...) طه: 125 – 126، و قال تعالى: (و ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم..)، الشورى:30 . فهل إلى الخروج من هذه الأزمة من سبيل ؟؟ أقول إن الدواء موجود و إرشادات كيفية التداوي متوفرة أيضًا، وليس

علينا إلا تناوله إذا ما أردنا إنقاذ أنفسنا و أمتنا. إن مفكري الأمة الإسلامية و علماءها ذهبوا مذاهب شتى في البحث عن السبل و الوسائل و الحلول. فمنهم من رأى أن سبب تخلف و تمزق الأمة تكمن في ضعف عقيدتها. ومنهم من رأى أن سبب تخلفها تكمن في إشكاليتها الفكرية والمنهجية. فالذي يبدوا لنا و العلم عند الله أن الإشكالية تكمن في الجانبين، في الجانب العقدي من حيث ضعف الوازع الديني الدافع إلى الالتزام بالأحكام الدينية، كما أنها تكمن أيضًا في الجانب الفكري، من حيث عدم الشفافية و الإدراك لأبعاد الأحكام الدينية الصالحة لكل زمان و مكان. فحتى تعود الأمة الإسلامية إلى رشدها و عزها، أرى لزامًا علينا، معاشر المفكرين و الدعاة أن نشرع في معالجة هذه الأمراض التي ألمت بأمتنا الإسلامية، ابتداء من إصلاح مسارها الفكري و مناهجها التعليمية ومن ثمَ إصلاح عقيدتها و إيمانها بربها عز وجل. لقد اصطلح العلماء في العصر الحديث على هذه العملية الإصلاحية الفكرية بـ: *عملية إسلامية العلوم أو أسلمة العلوم الإنسانية، أو عملية إصلاح العلوم الاجتماعية*. هناك فئة من المثقفين الإسلاميين يزعمون بأن هنالك تعارضًا و تناقضًا بين العلوم الإسلامية و العلوم الإنسانية، و أنه لا يمكن الانسجام و التوافق بينها، فنظرية مشروع إسلامية المعارف أو أسلمة العلوم لا تعدو أكثر من أن تكون ضرباً من الخيال و محالة المنال ...!!؟ تأتي جهود مشروع إسلامية المعارف أو العلوم الإنسانية في هذا الصدد ردًا على هؤلاء، لتفتح أمامنا طريق الإنقاذ و النجاة لأمتنا الإسلامية، ولتبين لنا أن الأمة الإسلامية تعاني حقاً من المشكلة الفكرية و العقدية معاً. فالمشكلة التي لها الأولوية للمعالجة في هذه الظروف الراهنة هي الأزمة الفكرية و المنهجية، لأنه إذا صلح مسار الفكر والمنهج، صلحت حال مستقبل الأمة الإسلامية، وإذا فسد مسار الفكر و المنهج فسدت حال الأمة الإسلامية، حاضراً و مستقبلاً، والله أعلم.

ملف مشروع إسلامية المعارف

2-2

فما الذي يحمله ملف مشروع أسلمة المعارف الإنسانية في طيه ؟ وما الذي يهدف إلى تحقيقه؟ و ما هي خلاصة آراء العلماء و المفكرين الإسلاميين عن مدى نجاح هذا المشروع العلمي العظيم في هذا العصر ؟ و ما هي تجربة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا في هذا الشأن ؟ أسئلة عديدة، سنحاول الإجابة عليها باختصار في هذا المقال بحول الله و قوته.

أولاً: المفهوم و المصطلح: ذكر عدد كبير من الباحثين و المفكرين في هذا الصدد تعاريف عدة حول مشروع إسلامية المعرفة، يكادون أن يتفقوا في بعض الجوانب و يختلفون في أخرى. فأقول و بالله التوفيق و الهداية و منه سبحانه أستمد العون و الحماية:

من العلماء من ذكر أن إسلامية المعرفة أو أسلمة العلوم تعني: " ممارسة النشاط المعرفي كشفاً و تجميعاً و توصيلاً ونشراً من زاوية التصور الإسلامي للكون و الحياة و الإنسان.." و منهم من قال بأنه: " عنوان لمنهج فكري في التثاقف الحضاري ذي بعدين، الأول منهما: يراد به جهد الفكر الإسلامي المعاصر، و سعيه الحثيث من أجل هضم جميع ما أنجزه الفكر الغربي في بعديه: الحضاري المادي، و الثقافي المعنوي، الثاني منهما: ففيه التنبيه على وجوب تأمين تحرير تلك المنجزات التي نشأت ضمن مفاهيم فلسفية، ومادية و إلحادية، وذلك بإعادة تفسيرها و ربطها بإطار قيمي إسلامي موصول و متصل بالهدي الإلهي الذي بلغ كماله و ختامه بالإسلام.." و من المفكرين من رأى أنه " التأصل الإسلامي للعلوم الاجتماعية عبارة عن عملية إعادة بناء العلوم الاجتماعية في ضوء التصور الإسلامي للإنسان و المجتمع و الوجود.."

و الذي يبدو لنا أن: مشروع إسلامية العلوم الإنسانية هو عبارة عن عمل أو اجتهاد مؤسسي جماعي منهجي موضوعي في ظل التصور الإسلامي للكون و الإنسان و الحياة، تتم فيه غربلة و تنقيح و تهذيب و تطهير العلوم الإنسانية من العناصر الكفرية أو الشركية أو الإلحادية أو العلمانية أو الشيوعية، الدخيلة على العلوم الأخرى و من ثَمّ إضفاء الصبغة الدينية و البدائل الإسلامية عليها ، و الله أعلم.

ثانيًا: ما الذي نهدف إليه بهذا المشروع ؟ يجب أن يكون واضحاً في أذهاننا، نحن رجال الفكر والدعوة، أن قضية إسلامية العلوم أو التأصيل الإسلامي للعلوم، هي قضية ذات شأن عظيم، ومسؤولية كبيرة، و هو واجب ديني كبير أنيط على أعناقنا لإنقاذ هذه الأمة المحمدية من هذا التخلف العلمي، الاقتصادي، الاجتماعي و السياسي، فالذي نهدف إليه من وراء هذا النداء هو: أ- تحقيق "..جانب أساسي وأولي في بناء الأمة الإسلامية يختص بالفكر والتصور والمحتوى الإنساني القيمي والفلسفي.."، ب- هذه المعرفة الإسلامية: " تعنى منهجية إسلامية قويمة شاملة تلتزم توجيه الوحي ولا تعطل دور العقل، وأن الوحي هو مرشد العقل والفرد والمجتمع الإنساني..."،ج- إن إسلامية المعرفة تعني أيضًا:" معرفة تصدر عن قيم الوحي و غايات الرسالة و تتصل بكل صحيح ونفيس من تراث الأمة وفكر علمائها ومفكريها على مر العصور و القرون.."، د- إن إسلامية العلوم اليوم ".. تأتي على رأس سلم أولويات الأمة، التي تستهدف تطوير منهجية الفكر الإسلامي وتطهيره مما اعتراه على مر العصور.."، هـ: إن هذا المشروع يهدف إلى:".. مواكبة قدرة العقل والفكر والمنهج السليم و حاجة الأمة والتحديات التي تواجهها، وأن تقدم لها الطاقة والزاد الفكري والرؤية و المناهج الفكرية و الحضارية اللازمة.."، ز- و لا يعني هذا المشروع بحال من الأحوال:"..تناقضاً أو إلغاء لجهود كافة المخلصين من أبناء

الأمة الإسلامية في المجالات الحياتية المختلفة، بل يعني التكامل معها.."، ح- إن مشروع إسلامية المعرفة:".. بمفهومه الشامل إطار للحياة الإنسانية والحضارة و الإعمار البشري،.."..

إذن فعملية أو مشروع الأسلمة للعلوم الاجتماعية تركز على هذه الجوانب الأربعة أثناء القيام بعملها و نقدها نقدًا بناءً من الناحية:المنهجية و النظرية المعرفية والقيمية

و أما تجربة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا و نجاحها في تطبيق و تنفيذ هذا المشروع، فيمكن لكل من أراد التعرف على فلسفة و رسالة و رؤية تلك الجامعة العريقة التي جمعت بين الأصالة و الحداثة أن يتصفح موقع الجامعة الرسمي على الانترنت: www.iiu.edu.my ، و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

المدينة المنورة 2006/06/15

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ونسأل الله التوفيق والسداد والقبول..آمين

تم مراجعة هذه المقالات مرة أخرى ضحوة يوم السبت الموافق 3 من ذي الحجة 1436 هـ

الموافق 2014/09/27 – بالدوحة – قطر

drhafezi68@gmail.com

www.drhafezi.net